العمل التطوعي

تنمية الذات وقوة المجتمع

ⓒ حسن موسى الصفار، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصفار، حسن بن موسى بن رضي
العمل التطوعي تنمية الذات وقوة المجتمع. / حسن بن موسى بن رضي الصفار، القطيف، ١٤٤٢هـ
١٥٠ص، .. سم
ردمك: ١-٦٠٩٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- العمل التطوعي ٢- الخدمة الاجتماعية أ. العنوان
ديوي ٨, ٣٦١ ٣٩٠٦/ ١٤٤٢
رقم الإيداع: ٣٩٠٦/ ١٤٤٢
ردمك: ١-٦٠٩٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م
القطيف- المملكة العربية السعودية

أطياف للنشر والتوزيع
هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣ ١) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com

حسن بن موسى الصفار

العمل التطوعي

تنمية الذات وقوة المجتمع

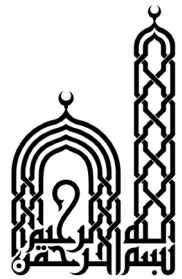

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

المحتويات

المحتويات ٧
مقدمة ٩

الفصل الأول: تنمية الذات

العمل الاجتماعي وتنمية الذات ١٥
خدمة الناس قيمة كبرى ٢٧
الهامشية والتأثير في الحياة..... ٣٩
تنمية روح العطاء..... ٤٥
أعظم فرص الاستثمار ٥٥

الفصل الثاني: قوة المجتمع

بناء القوّة الاجتماعية ٦٥
المجتمعات وفاعلية النشاط الأهلي ٧٥
العمل الأهلي.. نحو تطوير الوعي والتشريعات..... ٨٣
الشباب مرحلة العطاء الاجتماعي ٩٣

التصدّي للشأن العام بين التشجيع والتثبيط ٩٩
العمل الاجتماعي بين التنظير والتصدي ١٠٩
دوافع الإنجاز والتميّز ١١٧

الفصل الثالث: قضايا وآفاق

التطوع بالوقت ١٢٥
إشهار عمل الخير ١٣١
رعاية السجناء ١٣٧
الشراكة المجتمعية مع المؤسسات الصحية ١٤٣

مقدمة

تواجه المجتمعات الإنسانية مع تطور الحياة مزيدًا من المشاكل والتحديات، التي تحيط بإنسان هذا العصر في مختلف أبعاد حياته، بدءًا من داخله النفسي حيث تعصف به موجات القلق والاضطراب، مرورًا بصعوبات الحياة الاقتصادية التي تعانيها شريحة واسعة من أبناء كثير من المجتمعات، وانتهاءًا بتعقيدات الحياة الاجتماعية في المجال الأسري، وعلى صعيد العلاقة بين فئات المجتمع ومكوناته المتنوعة، وبروز الظواهر الأخلاقية السلوكية غير القويمة.

وهناك المشاكل البيئية والصحية وانتشار الأمراض الخطيرة، ووجود شريحة من المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة.

كل هذه التحديات والمشكلات تتطلب تضافر الجهود في المجتمعات المعاصرة، من قيام الحكومات بمسؤولياتها تجاه شعوبها، وتكثيف المبادرات الأهلية التطوعية، من أجل مواجهة هذه التحديات الكبيرة والمشاكل المتفاقمة.

وفي المجتمعات المتقدمة نلحظ استجابة أكبر لهذه التحديات على صعيد العمل التطوعي، حيث تتكاثر منظمات المجتمع المدني، ومؤسسات العمل الخيري، ومبادرات التطوع الشعبية، للتصدي لمختلف الجوانب والاهتمامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية والبيئية. فلا تكاد تجد مجالاً من مجالات الحياة حتى الكمالية والترفيهية يخلو من وجود منظمات وجمعيات تتصدى له وتهتم به.

وقد تخطّى العمل التطوعي في تلك المجتمعات حدود بلدانهم وأوطانهم، لينطلق على المستوى الإنساني العالمي. بينما لا يزال العمل التطوعي في مجتمعاتنا ضمن مستوى محدود وسقف منخفض، لا يحقق الاستجابة المطلوبة لمواجهة التحديات القائمة، والحاجات الملحّة في هذه المجتمعات، ولا يتناسب مع موروثنا الديني الذي يؤكد بدرجة أساس على عمل الخير، ونفع الناس، ومساعدة الآخرين، والتصدي للشأن العام.

لكن هناك مؤشراتٍ تدعو إلى التفاؤل والأمل، بوجود توجه رسمي لتوسيع قاعدة العمل التطوعي، بتسهيل الإجراءات، وتشجيع قيام المؤسسات التطوعية، والجمعيات الخيرية.

وهناك بداية تشكّل لوعي اجتماعي نأمل أن يكون رافعة لتقدم العمل التطوعي في المجتمع.

وهذه الصفحات المتواضعة بين يدي القارئ الكريم، تأتي ضمن

جهود نشر ثقافة العمل التطوعي، وتحفيز أبناء المجتمع لتبني المبادرات الخيرية، والانخراط في المؤسسات الأهلية، ودعم المشاريع الاجتماعية.

أسأل الله تعالى أن يحقق بها القصد والغرض، وأن يتقبلها بلطفه ومنّه، إنه سميع مجيب.

حسن الصفار

٧ ربيع الأول ١٤٤٢هـ

٢٤ أكتوبر ٢٠٢٠م

الفصل الأول

تنمية الذات

العمل الاجتماعي وتنمية الذات

حبّ الإنسان لذاته، وانشغاله بخدمة مصالحه الذاتية أمر طبيعي مشروع، فهي غريزة في أعماق نفسه، تدفعه لحماية ذاته، والدفاع عنها، وتلبية احتياجاتها، فلا بُدّ من الاعتراف بها وفسح المجال أمامها، لكي تأخذ دورها ومداها في حياة الإنسان.

ومن الناحية الشرعية، فالإنسان مكلّف بالدرجة الأولى بنفسه، ثم بمن يتحمّل مسؤوليتهم كزوجه ووالديه وأولاده، وهذا ما يبحثه الفقهاء في كتاب النفقات الواجبة.

وآيات القرآن الكريم تؤكّد على الإنسان الاهتمام بنجاة نفسه أولًا، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦].

لكنّ حبّ الإنسان لذاته لا يعني انطواءه على نفسه، وتجاهل الآخرين في محيطه الاجتماعي، بل إنّ حبّ الذات ينطوي في عمقه على الاهتمام بالآخرين؛ لأنّه انعكاس لجانب من حبّ الذات، ولتداخل حاجات الإنسان مع الآخرين، فهو لا يعيش وحده منفردًا عن الناس، فالاهتمام بالآخرين له فوائد وعوائد على الإنسان نفسه:

أولًا: إثراء المشاعر الإنسانية

الإنسان ليس مجرّد رغبات مادية، فلديه أحاسيس ومشاعر وعواطف، تنمو وتُثرى إيجابيًّا حينما يهتم بالآخرين، ومن يعيش في نعمة العمل الخيري التطوعي يدرك هذا المعنى.

فإذا وفق الله الإنسان لإنقاذ حياة أحد من الناس، أو مساعدته في تجاوز خطر داهم، أو تقديم عون لفقراء ومحتاجين لتحسين ظروف حياتهم، فإنه سيشعر براحة نفسية عظيمة، ورضا ذاتي كبير يمنحه الثقة والاطمئنان.

ثانيًا: تنمية المواهب والطاقات

فالعمل التطوعي وخاصة حينما يكون جمعيًا مؤسسيًا، يستلزم التواصل مع الآخرين، والتعاون في الأداء والإنجاز، مما ينمي مهارات الإنسان وقدراته التواصلية، ويمنحه الخبرة في الشأن الاجتماعي.

ثالثًا: كسب المكانة الاجتماعية

بالطبع إنّ الحصول على المكانة الاجتماعية لا ينبغي أن يكون هدفاً للعمل التطوعي، لكنّه يحصل كنتيجة طبيعية، ففي الحديث عن رسول

الله ﷺ: «جُبِلَتِ اَلْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»[١] فمن يعمل من أجل مصلحة الآخرين ينال منزلة ومكانة في أوساطهم، وتصبح له سمعة حسنة في المجتمع، ويكون له تأثير إيجابي في المحيط الذي يعيش فيه.

رابعًا: العمل من أجل الآخرة

الإنسان المؤمن الذي يعتقد بأنّ الدنيا ليست إلّا مرحلة قصيرة، ينتقل بعدها إلى مرحلة أخرى، هي دار الخلود، فإنه يخطط لتلك المرحلة القادمة، فكما يهتم بمصلحته ويسعى لتوفير احتياجاته في هذه الدنيا، لا بُدّ أن يهتم بتوفير احتياجاته في الآخرة. بل إن ذلك أكثر أهمية في نفس الإنسان المؤمن.

ولكن كيف تتوفر لك السّعادة في الآخرة؟!

إنك في الدنيا إذا أردت أن تبني بيتًا، أو توفر لعائلتك احتياجاتها المادية، فالطريق معروف أمامك، تعمل وتكدح لتجمع المال حتى توفر هذه المتطلبات، ولكن كيف توفر احتياجاتك ومتطلبات حياتك في الآخرة؟

العملة المتداولة هناك غير هذه العملة النقدية التي في الدنيا، إنّها العمل الصالح ومساعدة الآخرين، فاهتمام الإنسان بغيره في الدنيا ينفعه في الآخرة، وبذلك يصبح انعكاسًا لحب الذات.

---

(١) محمد بن علي بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه. ج ٤، الطبعة الخامسة ١٣٩٠هـ، (طهران: دار الكتب الإسلامية) ص ٣٨١، حديث٥٨٢٦.

خامسًا: الانتماء إلى مجتمع قوي

الإنسان جزء من مجتمع ومحيط بشري، فكلّما كان المجتمع الذي ينتمي إليه أقوى، أضيف ذلك إلى رصيد قوته، فإذا شارك في تنمية مجتمعه، تزداد قوته باعتباره جزءًا من هذا المجتمع القوي.

وحينما تتوفّر في المجتمع مؤسّسات اجتماعية، فإنَّ أبناء المجتمع يكونون جزءًا من مجتمع قوي. بينما إذا عزف أفراد المجتمع عن العمل الاجتماعي، فإن كلّ الأفراد سيعيشون ضعفًا؛ لأنّهم أعضاء في مجتمع ضعيف.

لذلك ينبغي لكلّ إنسان من أبناء المجتمع، أن يبادر للانضمام إلى مؤسّسة من المؤسّسات الاجتماعية القائمة، أو أن يبتكر فكرة جديدة، تسدّ فراغًا من الفراغات القائمة في المجتمع.

هرم ماسلو

هناك أبعاد مختلفة في شخصية الإنسان، تنبثق منها حاجات متعددة الجوانب، وهذا ما تتحدث عنه النظريات الاجتماعية، ومنها على (نظرية ماسلو) في الدراسات الاجتماعية المعروفة بـ(هرم ماسلو).

وهي نظرية فلسفية وضعها العالم الأمريكي(أبراهام ماسلو)[1].

يتحدث فيها عن سلم أولويات الإنسان، ويعرضها في شكل هرم، له

(١) ولد في نيويورك عام ١٩٠٨م، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٣٤م، وتوفي عام ١٩٧٠م.

قاعدة تتدرّج صعودًا إلى القمة:

الطبقة الأولى: الحاجات الفسيولوجية، أي حاجة الإنسان إلى التنفّس والطعام والماء والهواء.

الطبقة الثانية: حاجات الأمان التي تتمثل في السلامة الجسدية بعيدًا عن الاعتداء والعنف، والأمان الوظيفي، والأمن النفسي والمعنوي، والأمن داخل الأسرة، والأمن الصحي، والحفاظ على الممتلكات الشخصيّة.

الطبقة الثالثة: الحاجات الاجتماعية، المتمثلة في العلاقات العاطفية، والحصول على الحب والعلاقات الأسرية السليمة، والقدرة على اكتساب الأصدقاء، والرغبة في الانتماء إلى مجموعة كبيرة، ويلاحظ هذا العالم أن الحاجات الاجتماعية إذا فقدت يصبح الفرد معرّضًا للاكتئاب

والقلق والعزلة.

الطبقة الرابعة: الحاجة إلى التقدير. وتتمثل في رغبة الشخص في تحقيق المكانة الاجتماعيّة المرموقة، والمنصب الرفيع، ممّا يكسبه الإحساس بالثقة والقوة، بالإضافة إلى كسب احترام الآخرين.

الطبقة الخامسة: الحاجة إلى تحقيق الذات. وفيها يحاول الفرد تحقيق ذاته، من خلال تنظيم استخدام قدراته ومهاراته الحالية والمحتملة، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإنجازات.

وهناك نقاش وآراء مختلفة حول هذه النظرية، لكنّها متداولة ومنتشرة على نطاق واسع، كما أنّها تدرس في المناهج العلمية المرتبطة بعلم الاجتماع وبناء الذات وتنمية الموارد البشرية.

وإذا ما تأمّلنا في طبقات حاجات الإنسان وفق هرم (ماسلو) نرى أنّ معظمها يتصل بعلاقة الإنسان مع محيطه الاجتماعي، كحاجات الأمان، والحاجات الاجتماعية، والحاجة إلى التقدير. مما يعني أنّ التفاعل الإيجابي مع الآخرين وإبداء الاهتمام بهم، وخدمتهم ومساعدتهم، له ارتباط وثيق بتحقيق احتياجات الذات وخدمة مصالحها.

وهكذا فإنّ حبّ الإنسان لذاته ينعكس ويتجلّى في صورته الفضلى في اهتمامه بالآخرين ومساعدتهم، وهذا ما يركز عليه الدّين، فحين يكون الإنسان مؤمنًا بالله وبالآخرة، فإنّ مقتضى هذا الإيمان الاهتمام بالآخرين

ومساعدتهم، فذلك يحقق رضا الله، ويسعد الإنسان في آخرته، كما يحقّق له جانبًا مهمًّا من احتياجات ذاته في هذه الحياة. فهو بإحسانه للآخرين يخدم ذاته في الأصل.

لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الْبِرِّ شَيْءٌ: الْإِيمَانُ بِالله، وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ الله»(١).

وعنه ﷺ: «مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ»(٢)، وقال ﷺ: «وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٣).

جاءت التعاليم الإلهية لترشد الإنسان إلى طريق سعادته، وتعرّفه كيف يخدم ذاته. فهو يحب ذاته ويريد مصلحتها، إلّا أن نظرته غالبًا ما تكون قصيرة مشوّشة، فلا يعرف كلَّ مظانّ مصالحه. إنه يفضّل المصالح الشخصيّة العاجلة وإن قلّت، على المصالح الآجلة الضخمة. ويرى بعض المصالح ولا يرى أكثر المصالح التي تنفعه وتفيده. وهو يستطيع

(١) الحسن بن علي بن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٣٥.
(٢) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، حديث ٢٤٤٢.
(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، حديث ٢٦٩٩.

معرفة مصالحه أو بعضها في هذه الحياة الفانية، ولا يعرف مصالحه في الحياة الأخرى.

لهذا جاءت الرسالات الإلهيّة تفضّلًا من الله سبحانه وتعالى على الإنسان، حتى تعلّمه كيف يخدم ذاته؟ وكيف ينفع نفسه؟ وكيف يسعى من أجل مصلحته؟

ومن تلك الآفاق التي تفتحها الرسالات الإلهية، وتؤكّد عليها أمام الإنسان، إرشاده إلى أنَّ خدمته للآخرين هي خدمة لذاته؛ ذلك أن الإنسان بقصر نظره، يتصوَّر أنّ منفعته ومصالحه هي تلك التي ترتبط بذاته مباشرة، في حين أنّ الرسالات الإلهية تنبّه الإنسان إلى أن خدمته للآخرين هي طريق أفضل لخدمته لذاته.

فحينما تخدم الآخرين، قد تتصور بادئ ذي بدء أنك تصرف جهودك من أجل الغير، بينما تؤكد لك التعاليم الإلهية، أنك تصرف تلك الجهود في مصلحة ذاتك، فما تقدّمه للآخرين ينفعك أنت، وليس الآخرين فقط. وهذا ما تؤكد عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[سورة الإسراء، الآية:٧].

فالإحسان الذي تقدّمه للآخرين، يعود عليك أنت بالنفع، فلا تتوهّم أنه صرفٌ من جهدك ومالك ومصلحتك للغير، وإنما هو لك أنت شخصيًّا في الأساس. يقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[سورة يونس، الآية:٢٦]، فحينما تحسن الحسنى تكون لك، وإن كان من حيث الظاهر ترى أنك أحسنت للآخرين، أما الواقع فأنت أحسنت لنفسك، وبزيادة ربحية كبيرة.

وحتى لا يتصور البعض أن هذه الزيادة مؤجلة إلى الآخرة فقط، فإنّ آيات القرآن تؤكّد أنّ نتائج الإحسان للآخرين تحصل في الدنيا أيضًا، يقول الله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾[سورة النحل، الآية:٣٠] يعني أنَّ نتائج إحسانك للآخرين تنالها في الدنيا، وفي الآخرة أيضًا لك خير مما تناله في الدنيا. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[سورة فصلت، الآية:٤٦].

لهذا، فإنَّ الإنسان الواعي المؤمن بهذه التعاليم الدينية وبحقائق الحياة يبادر إلى الإحسان للآخرين.

مأسسة الإحسان

لكي يكون الإحسان للآخرين مفيدًا ومجديًا أكثر، ينبغي أن يكون بشكل مؤسّسي جمعي، فتارة أنت تحسن للآخرين ضمن مبادرة فردية، وتسعى بنفسك في خدمة الناس، وهذا أمرٌ جيد. والأجود منه أن تشترك في مؤسّسة خيرية، وتكون جزءًا من جهد جمعي لعمل الخير، فهذا هو الأفضل، خاصة ونحن نعيش في عالم لا تستطيع فيه المبادرات الفردية معالجة المشاكل التي تعيشها المجتمعات، ويُعاني منها كثير من الأشخاص. فلو أردت أن تساعد الفقراء فبأيّ قدر تستطيع أن تساعدهم؟ وكم من الفقراء تستطيع أن تصل إليهم؟ وهل تستطيع أن تتعرّف إلى الفقراء المستحقين فعلًا؟ إنّ ذلك يحتاج إلى جهدٍ جمعي مؤسّسي.

إنَّ وجود مؤسّسات تهتمُّ بالشأن العام، وتهتمُّ بحوائج الناس وقضاياهم أمر ضروري، ومن المؤسف، أنَّ المشاركة في هذه المؤسّسات لا تزال

ضعيفة محدودة، فالروح التطوعية، وروح العمل الجمعي، تحتاج إلى تنمية في مجتمعاتنا.

الشباب والمتقاعدون

وأودّ أن أوجّه الخطاب لشريحتين مهمّتين في المجتمع، هما:

شريحة الشباب: فمرحلة الشباب هي مرحلة العطاء، ومرحلة القوة والقدرة، وعادة ما يمتلك الشباب فائضًا من الوقت والطاقة، والعمل التطوعي هو المجال الأفضل لصرف ذلك الفائض. وعلى كلّ شاب واعٍ أن يهتم بشأن مجتمعه.

وشريحة المتقاعدين: وهؤلاء بما يمتلكون من خبرة حياتية واجتماعية، عليهم أن يوظّفوها في خدمة المجتمع، لا أن يركنوا للراحة والدّعة، بطريقة خطأ. فالراحة لا تحصل بالركود، وإنَّما العمل هو أساس الراحة، إضافةً لما يناله المتقاعد من راحة نفسية وثواب عظيم من الله تعالى في الدنيا والآخرة. فذلك ينبغي أن يكون دافعًا لنشاط اجتماعي كبير، تُقدّمه هذه الشريحة المهمة في المجتمع.

وتذكيرًا لنا جميعًا نورد بعض الروايات عن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) في فضل العمل الاجتماعي، وفضل خدمة المجتمع:

- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لَئِن أعول أهل بيت من المسلمين أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم فأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليَّ من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها ومثلها

حتى بلغ عشرًا، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين»[١].

- وعنه عليه السلام قال: «إن المؤمن لَتَرِدُ عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده، فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة»[٢].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي، فأحبّهم إليَّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم»[٣].
- وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن لله عبادًا في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورًا فرح الله قلبه يوم القيامة»[٤].

فعلى كلّ إنسان أن يفكر في أن يكون عضوًا وجزءًا من مؤسّسة اجتماعية، وأن يصرف شيئًا من جهده ووقته وجاهه وماله، لخدمة الشأن العام، ضمن عمل جمعي مؤسّسي.

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي. ج٢، طبعة١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص١٩٥ حديث١١.
(٢) المصدر نفسه. ص١٩٦حديث١٤.
(٣) المصدر نفسه. ص١٩٩ حديث١٠.
(٤) المصدر نفسه. ص١٩٧ حديث٢.

خدمة الناس قيمة كبرى

نَفْعُ الناس يعني تقديم الخير لهم بما يفيدهم في تيسير أمور حياتهم، وإسعادهم على الصعيد الماديّ أو المعنويّ؛ وقد تحدّث القرآن الكريم عن مصاديق النفع في البعدين معًا، أمّا البُعد الماديّ فقد قال تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاس﴾[سورة البقرة، الآية: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٢١].

وأمّا عن البُعد المعنويّ فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِين﴾[سورة الذاريات، الآية: ٥٥].

قال رجل لرسول الله ﷺ: «أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ؟

فَقَالَ ﷺ: «خَيْرَ النَّاسِ من ينفع الناس فكن نافعاً لهم»[1].

---

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال. ج ١٦، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص١٢٨، حديث٤٤١٥٤.

وورد عنه ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الْبِرِّ شَيْءٌ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ اللَّهِ...»[١].

فتقديم الخدمة للناس بما ينفعهم في هذين البعدين هو ما حثّت عليه النصوص الدينيّة؛ فالإسلام يعتبر نَفْعَ الناس قيمة كبرى يدعو إليها، كما في الأحاديث التي عبّرت عنه مضمونًا بكونه: من أكبر القيم في الدين.

وقد يسأل سائل: لماذا جعل الدين من نفع الناس قيمة كبرى؟

يعود ذلك لعدّة أسباب، منها:

نفع الناس تمظهر بصفات الله تعالى

١. إنّ نفع الناس فيه اقتراب من الصفات الإلهيّة، وتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى؛ فحيث إنه تعالى كريم رحيم معطاء رؤوف، فعلى الإنسان أن يقتبس من هذه الصفات الإلهية وتخلق بها، في تعامله مع الناس.

وهذه الممارسة توجب الرحمة الإلهيّة، وتوجب زيادة النعم على الإنسان؛ فكلّما أعطى الإنسان لعباد الله فسوف يعطيه الخالق أضعافًا مضاعفة.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥].

وإذا أردنا أن نقرّب الفكرة المتقدّمة بمثالٍ نلاحظ: الأب الذي يقدّم

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٥.

لابنه الصغير طعامًا أو ألعابًا ويشجّعه على إعطاء الأولاد الذين بجنبه منها؛ فإنّ قيام الابن بذلك، يغمر الأب سعادة وفرحًا، فيقبّله ويمنحه أكثر وأكثر.

وحينما لا يتعامل الإنسان مع النعمة التي وفّرها الله له بالطريقة المناسبة، فسوف تُسحب من يديه، وتُحوّل إلى غيره، وهذا ما كشفت عنه النصوص الدينيّة، نلاحظ ذلك في النص المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه:

«إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِم»[1].

وقد ارتكز هذا المعنى حتى بين الشعراء فقال أحدهم:

لم يعطك الله ما أعطاك من نعم ... إلا لتوسع من يرجوك إحسانا
فإن منعت فأخلقْ أن تصادفها ... تطير عنك زرافات ووحدانا[2]

توثيق العلاقات الاجتماعيّة

٢. النفع للناس يوثّق العلاقة فيما بينهم؛ فإنّ الناس الذين يتعاونون فيما بينهم ويخدم كلٌّ منهم الآخر، ترى قلوبهم متحابة متقاربة ونفوسهم متواشجة، وبالتالي فإن هذه القيمة الكبرى تصنع أجواء طيبة وإيجابيّة في حياة المجتمع البشريّ، ومن هنا جاء التركيز عليها من قبل الدين.

---

(١) نهج البلاغة. ص٥٥١.
(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٧٠.

تنمية الذات وتطوير الحياة

٣. الإنسان عبر خدمته للآخرين يكتشف ذاته، وينمّي المهارات والقدرات في نفسه، بينما الانكفاء على النفس يحجِّم الذات؛ إنّ العلماء والمكتشفين والمخترعين من خلال إنجازاتهم واكتشافاتهم يطوِّرون البشريّة والحياة، ويدفعونها نحو الأمام، كما ويطوّرن ذواتهم أيضًا. وكذلك الأمر في المتطوعين في أعمال الخير، والناشطين في مختلف المجالات. بينما الإنسان الأنانيّ يحجّم نفسه وينكفئ عليها، ويحرمها من التقدّم والرقيّ، ومن هنا قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[سورة الحشر، الآية: ٩].

أجل؛ الإنسان الذي يتجنّب الأنانيّة والبخل يرتقي ويتقدّم إلى الفلاح والنجاح من دون شكّ وريب، كما نصّت هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والأحاديث.

نشر القيم والمبادئ الأخلاقيّة

من مظاهر نفع الناس نشر القيم والمبادئ الأخلاقيّة، وتشجيع الناس عليها، فهؤلاء الذين يقومون بحملة لنشر مفهوم البرّ بالوالدين، أو جمال الأخلاق، كمشروع ملكة جمال الأخلاق، يمارسون دور النفع للناس.

وكذلك الدعوة إلى حماية البيئة، والتزام قوانين المرور، ومراعاة الصحّة، والتزام العفة والورع، ومختلف هذه القيم هي مظهر من مظاهر نفع الناس، ومن يعمل في نشر هذه القيم والمبادئ فهو يخدم الناس وينفعهم.

كما أنّ نشر العلم والمعرفة على مختلف الصُّعد والسياقات، هو من تجليات نفع الناس، فالتطوع بعقد دورات لتعليم الكتابة والخطابة واللغات الأجنبيّة، هو خدمة للناس، ومساهمة في تقدّمهم ورقيّهم.

وعلينا أن نشيد هنا بجهود الأستاذة الفاضلة غالية المحروس من القطيف؛ فقد تفرّغت هذه الأستاذة بعد تقاعدها من أرامكو لتعليم البنات والنساء اللغة الإنجليزيّة، حيث كتبت عنها الصحف أنّها تصرف يوميًّا ما يعادل سبع ساعات في تدريس اللغة الإنجليّزية مجانًا، من خلال إقامة ثلاث دورات تعليمية يوميًّا، ويبلغ عدد طالباتها في الفترتين الصباحيّة والمسائيّة نحو ثمانين طالبة، يتلقين دروسًا في اللغة الإنجليزية في منزلها الذي حوّلته بمساعدة زوجها إلى معهد تعليمي، وأيضًا: تقيم دورات في المستشفيات والجمعيات الخيريّة ولجان القرآن الكريم لتعليم اللغة الإنجليزيّة[1]، وهذا نفع عظيم للناس، ونشر للعلم والمعرفة بمختلف ألوانها.

نشر الفرح والسرور

كما أنّ نشر الفرح والبهجة عبر الأساليب المشروعة في أوساط المجتمع، وإدخال السرور على قلوب الناس، وتنفيس حالات الكبت والاحتقان عن نفوسهم، هو من مظاهر وتجليّات نفع الناس؛ فالبرامج الترفيهيّة التي تقام ويصرف فيها متطوعون من أبناء المجتمع وقتًا وجهدًا كبيرين هي من هذه التجليّات، وما المهرجان الذي أقيم في القطيف والذي احتضن أكثر من ستمئة متطوّع ومتطوّعة، يصرفون ساعات من وقتهم، في أجواء الصيف اللاهب، إلّا مظهر حضاري للعمل التطوعي،

(١) جريدة الحياة. العدد ١٦٣١٤، الصادرة بتاريخ ٤/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

والمتطوعون في فعالياته ينطبق عليهم مفهوم: خير الناس من نفع الناس.

وهكذا مساعدة الفقراء والمحتاجين، وزيارة المرضى ودعمهم نفسيًا ورفع معنوياتهم.

إنّ مثل هذه البرامج التطوعية صارت تشقّ طريقها وتنتشر بكثافة في المجتمعات الغربيّة، ونحن كمسلمين أولى بهذه المبادرات؛ فقد نشرت الصحف أن زوجين محبّين لعمل الخير أنفقا الملايين من اليورو لشراء سفينة يعتزمان استخدامها في إنقاذ المهاجرين من الزوارق المتهالكة في قلب البحر المتوسط، وأبلغ كريستوفر وريجينا كاترامبون المقيمان في مالطا وسائل الإعلام أنهما شعرا بأنهما ملزمان بالتحرك بعد نداء وجّهه البابا عقب العثور على مئات من المهاجرين الأفارقة غرقى قبالة جزيرة لامبيدوزا الإيطالية.

وأسّس الزوجان محطة إغاثة المهاجرين واشتروا السفينة «فينكس ١» التي ستبحر باتجاه المسارات المركزية التي يتخذها المهاجرون[١].

نعم؛ هكذا ينبغي للإنسان أن يسابق الزمن في تقديم الخير لنفسه وآخرته عبر خدمة مجتمعه ونفع الناس بشكل عام، وعلينا أن نجعل هذه النصوص الدينيّة نصب أعيننا، (خيرُ النَّاسِ أَنفَعُهُم للنَّاسِ).

خدمة الناس شرف ومثوبة

تكشف طبيعة الحياة الاجتماعية لبني البشر عن مدى حاجة بعضهم للبعض الآخر. حيث لا يمكن أن يستغني إنسان عن مساعدة الآخرين،

(١) جريدة الحياة. الصادرة بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٤م.

ولا يستطيع أحد أن يستقلّ بحياته تمامًا عن سائر الناس، وقد قدّر سبحانه وتعالى أن تسير الحياة على هذا النحو، لتنمو في نفوس الناس قيم الخير والإحسان والمشاعر الإيجابية، ولتكون محكًّا للابتلاء والامتحان، وسببًا لتوثيق علاقة الناس بعضهم ببعض. ذلك أنّ شعور الإنسان بالحاجة لنظرائه من بني البشر، يشكّل دافعًا للاقتراب منهم وتوثيق الصلة معهم. لكنّنا مع ذلك، نجد أنّ هناك تفاوتًا واختلافًا في أنماط تعامل الناس فيما بينهم على هذا الصعيد.

من يُلقي كَلّه على الناس

فهناك النمط الاستغلالي، الذي لا يضيره أن يلقي بكلّه على الآخرين، من الأقرباء والأصدقاء والمعارف، نظرًا لتكاسله عن توفير حاجاته مع قدرته عليها، لا لشيء إلّا لاعتياده الاعتماد على غيره، في توفير احتياجاته، وهذا النمط من التعامل غير مرغوب شرعًا ولا عقلًا.

حيث لا ينبغي للإنسان أن يلقي بأعبائه على الآخرين، استغلالًا لهم، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه. ذلك أنّ الاعتماد على النفس في تلبية مختلف الحاجات هو الأولى والأفضل من مدّ اليد للآخرين. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اِسْتَغْنُوا عَنِ اَلنَّاسِ وَ لَوْ بِشَوْصِ اَلسِّوَاكِ»[1]، في إشارة منه ﷺ إلى ما ذكره العلماء في شرح هذه الكلمة حيث ذكروا أن معنى (الشوص ـ بالفتح ثم السكون): الغسل والتنظيف أي استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك أي بغسله وتنظيفه. ولا يقل أحد لاحد: اغسل

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٧١، حديث ١٧٥٩.

سواكي أو نظفه[١]، وقيل: شَوْصُ السِّواكِ: ما يَتفتَّتُ منه عندَ التَّسوُّكِ، والمُرادُ: التَّقنُّعُ بالقَليلِ، والاكتِفاءُ بالكَفافِ، حتى لو اكتَفى المَرءُ بأَكلِ فُتاتِ السِّواكِ! لو فُرِضَ أنَّه يسُدُّ رَمَقَه، وهذا مُبالغةٌ في الاستِغناءِ عن النَّاسِ، وعَدمِ طَلبِ شيءٍ منهم، وهذا مِن تَربيَةِ النَّبيِّ ﷺ لأُمَّتِه على التَّعفُّفِ والتَّرفُّعِ عن سؤالِ النَّاسِ. وفي الحديثِ: الأمْرُ بالاستِغناءِ عن النَّاسِ ولو بأحْقرِ حَقيرٍ وأقلِّ قَليلٍ[٢].

وورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «طَلَبُ اَلْحَوَائِجِ إِلَى اَلنَّاسِ اِسْتِلاَبٌ لِلْعِزَّةِ وَ مَذْهَبَةٌ لِلْحَيَاءِ»[٣]، وورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: « اَلتَّقَرُّبُ إِلَى اَللَّهِ بِمَسْأَلَتِهِ، وَإِلَى اَلنَّاسِ بِتَرْكِهَا»[٤]، ويوضّح الإمام ﷺ أنّ الوسيلة المثلى للتقرب إلى الله تعالى، هي سؤال فضله في مختلف المجالات، وعلى النقيض من ذلك إذا أراد المرء التقرب من الناس، فإنّ عليه ألّا يثقل عليهم بشيء من الطلبات؛ لأنّ ذلك ينفّرهم ويبعدهم عنه.

ومما روي أنّ جماعة من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ أن يضمن لهم الجنة، فاشترط عليهم ﷺ ألّا يسألوا أحدًا شيئًا، فكان الرجل منهم يسقط سوطه وهو على دابّته، فينزل حتى يتناوله كراهية أن يسأل أحدًا شيئًا، وتجنّبًا لمزاحمة مَنْ هم حوله. وفي رواية أخرى عن علي ﷺ قَالَ: قَالَ

(١) المصدر السابق، هامش (٣).
(٢) موقع الدرر السنية. #https://dorar.net/hadith/sharh/92283
(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج٩، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث)، ص٤٤٤، حديث ١٢٤٥٤
(٤) عبدالواحد الآمُديّ التميمي.غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢، حكمة ٤٣٦.

رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلِّمْنِي عَمَلاً لاَ يُحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَلْجَنَّةِ. قَالَ ﷺ: لاَ تَغْضَبْ، وَلاَ تَسْأَلِ اَلنَّاسَ شَيْئاً»[١].

ومما روي في سيرة أحد كبار العلماء، أنه كان من الحرص على عدم تكليف الآخرين، إلى درجة أنه لم يكن يترك ترتيب فراش نومه على زوجته، ولا غسل أواني طعامه، فقد كان يقوم بالحدّ الأقصى من رعاية شؤونه في حياته العائلية، وهذا خُلُقٌ سامٍ يستحق الاقتداء. فإذا لم يستطع الإنسان أن يكون في أعلى حالات الاستغناء عن الآخرين، فإنّ عليه أن يسعى بالمقدار الممكن لأنْ لا يكلّف أحدًا بشيءٍ، فضلًا عن أن يستغلّهم.

جاء في رواية، «أنّ رجلًا ذُكِر عند النبي ﷺ، فقيل له خير؛ قالوا: يا رسول الله، خرج معنا حاجًّا، فإذا نزلنا لم يزل يُهلّل الله حتى نرتحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله حتى ننزل، فقال رسول الله ﷺ: فمن كان يكفيه علف دابّته، ويصنع طعامه، قالوا: كلنا، قال: كلكم خير منه»[٢].

يبخلون في مساعدة الآخرين

وهناك نمط آخر من الناس، هم أولئك الذين لا يتفاعلون مع حاجات الآخرين مع قدرتهم على تلبيتها. يضربون صفحًا عن الناس، لو سألوهم تلبية حاجة، أو طلبوا منهم أبسط خدمة، وقد ذكر المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون، الآيات:٦-٧]، أنّ الماعون هي المعونة القليلة، وقد ورد عن الإمام

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج٨٣، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٧٨.

(٢) الميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، ج٥، ص٥٩.

الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية، أنه قال: «هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت يعيره»[١]، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من منع الماعون جاره، منعه الله خيره يوم القيامة، ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فما أسوأ حاله»[٢]. على الإنسان أن يتفاعل مع حاجات الآخرين، من سائل عن الطريق، أو مسافر انقطعت به السُبُل، أو طالب حاجة، مع الأخذ في الاعتبار ظروف كلّ حالة بمفردها.

أمّا النمط الثالث، فهم أولئك الذين يتفاعلون مع حاجات الناس، ويمدون يدّ العون، ويبذلون المساعدة للآخرين. وهذا أعظم مكسب يمكن أن يحظى به الإنسان، لما فيه من الأجر والثواب، وتكريس لحالة النبل في النفس، وتنمية للمشاعر الإيجابية.

إنّ المطلوب أن يتحلّى المرء بالهمّة والنشاط والأريحية، في حلّه وترحاله، وهذا خُلُقٌ راقٍ يتميّز به الذين يباشرون خدمة غيرهم عند كلّ محفل وتجمع، ويبادرون في مساعدة كلّ محتاج. إنّ التحلي بهذه الروحية والخُلُق الجميل يُعَدّ من أعظم مكارم الأخلاق وأنبلها، وهو مما ينبغي للإنسان أن يتوفر عليه.

يخدم بعضهم بعضًا

ولعلّ أعظم وصف وتشبيه لحال المؤمنين الذي يجب أن يسود فيما بينهم هو وصفهم بالخدم لبعضهم بعضًا. فقد ورد عَنْ جَمِيلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ الصادق عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اَلْمُؤْمِنُونَ خَدَمٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ،

(١) الكافي، ج٣، ص٤٩٩، حديث٩.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص١٤.

قُلْتُ: وَكَيْفَ يَكُونُونَ خَدَماً بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؟ قَالَ: يُفِيدُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً»[١]، ومضمون قوله ﷺ هو أن يعتبر الإنسان المؤمن نفسَه كالخادم عند أخيه المؤمن، فلا يأنف عن خدمته ومساعدته.

وبالنظر إلى تطوّر ظروف العصر، ينبغي أن تتحوّل مساعدة الآخرين إلى عمل مؤسّسي، إذ مع تعقيدات العصر الراهن، بات الكثيرون لا يعرفون إلى أين يتجهون في طلب النصيحة في مختلف شؤون حياتهم، سواء تعلّق الأمر بحلّ مشكلة أسرية، أو معالجة قضية قانونية، أو اختيار مكان الدراسة، أو محلّ لتلقي العلاج. إنّ المجتمعات الحيّة، هي تلك التي تتوفر فيها مختلف المؤسّسات الأهلية، التي تقدّم الخدمات والاستشارات، على نحوٍ يساعد أيّ طالب استشارة، أو ساعٍ لحلّ مشكلة، أو طالب لمساعدة عاجلة. إنّ هذا النوع من السلوك العام ينبغي يكون سمة للمجتمع المؤمن.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ خَدَمَ قَوْماً مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ أَعْطَاهُ اَللَّهُ مِثْلَ عَدَدِهِمْ خُدَّاماً فِي اَلْجَنَّةِ»[٢].

إنّ من يخدم الناس فإنّ الله تعالى يُسخّر له من يخدمه يوم القيامة، لقاء خدمته لإخوانه وسائر الناس في هذه الحياة.

(١) الكافي، ج٢، ص١٦٧، حديث٩.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢٠٧، حديث٩.

الهامشية والتأثير في الحياة

ثمة ثلاثة أصناف من الناس يمكن التمييز بينها، من حيث فعلية التأثير في واقع الحياة. وأول هذه الفئات تلك التي يعيش أفرادها على هامش الحياة، يستهلكون ولا ينتجون، ويتأثرون ولا يؤثرون، فهم يمرون بالحياة لا يتركون فيها بصمةً أو أثرًا يُذكر، يعيشون حياتهم ثم يغادرون، دون أن يفعلوا شيئًا مميزًا، أو يحدثون تغييرًا أو تطويرًا في واقع الحياة، ويمثل أفراد هذه الفئة الغالبية من أبناء البشر.

وفي مقابل هذه الفئة، هناك فئة أخرى، تتحلّى بالفاعلية والإنتاج، والقدرة على التأثير، في واقعها ومحيطها، فأفراد هذه الفئة يعملون بجدٍّ للإصلاح والإنتاج في مجتمعهم، إنْ على صعيد التأثير النظري الفكري، أم على الصعيد العملي، بتحقيق إنجازات عملية، أو بصناعة نفوذ وتأثير اجتماعي، وتمثّل هذه الفئة النخبة من أبناء البشر، التي تضمّ المميزين والمؤثرين في واقع الحياة.

غير أنّ هناك صنفًا آخر من الأشخاص الأكثر تميّزًا، والأعمق تأثيرًا،

ليس في حدود حياتهم وحسب، وإنما يتركون خلفهم تأثيرًا كبيرًا في الحياة، حتى بعد أن يغادروا الدنيا، وهذا النوع من التأثير هو المستوى الأرقى والأكثر تقدّمًا.

استمرار التأثير بعد الحياة

لقد سطّرت آيات الكتاب الحكيم حقيقة مدى التأثير الذي يتركه بعض البشر خلفهم. حيث ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس، الآية: ١٢]، حيث أشارت إلى حقيقة رصده سبحانه لما يقدّمه البشر أثناء حياتهم ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من أعمال خير أو شرّ، وبعدها تكمل الآية بقوله تعالى: ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ ومعنى ذلك أنه علاوة على تقييده سبحانه لما يقدم البشر في حياتهم، فهو سبحانه يحفظ لهم أيضًا آثارهم، أي التأثيرات التي يتركونها على الحياة بعد رحيلهم، فالله سبحانه يكتب للإنسان تأثيرات أعماله ودوره المستمر بعد مغادرته الدنيا، كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [سورة الانشطار، الآية:٥]، ومعلوم أن عبارة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ الواردة في الآية، أي ما فعلت هذه النفس أثناء حياتها، أما عبارة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ فهي تلك الأعمال المتأخرة عن حياة الإنسان، التي تظهر نتائجها وتأثيراتها بعد رحيله عن الحياة، فهذه التأثيرات اللاحقة ستكون حاضرة في سجل الإنسان يوم القيامة.

حساب مفتوح للأجر والثواب

وقد تناولت النصوص الدينية نماذج ومصاديق للآثار التي تبقى بعد

حياة الإنسان. حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[1]، وهذا يتطابق تمامًا مع مضمون الآية الكريمة المتقدمة ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾. إنّ من مصاديق السُّنة الحسنة، أن يعمل الإنسان من أجل تأسيس جمعية خيرية مثلاً، ثم يغادر الحياة، لكن الجمعية تستمر في تقديم الأعمال الخيرية التي يقابلها الله سبحانه بالأجر والثواب، هنا يغدو حساب ذلك المؤسّس مفتوحًا أمام استقبال الأجر والثواب حتى بعد مماته، ليراه لاحقًا يوم القيامة.

وعلى غرار ذلك من يقوم بتأسيس نادٍ رياضي يجمع الشباب، ويحميهم من الانحراف، وينمّي طاقاتهم وكفاءاتهم، ثم يتوفى الله هذا المؤسّس، فيما يبقى عطاء النادي مستمرًّا في المجتمع، ليبقى بذلك حساب المؤسّس مفتوحًا عند الله تعالى للأجر والثواب.

وكذلك الحال لو أسّس الإنسان مسجدًا أو حسينية أو لجنة، في أيّ مجال من المجالات، من رعاية المرضى، إلى حماية البيئة، أو تزويج العزّاب، فآثار هذا العمل تبقى تُسجَّل عند الله للقائم على أمر التأسيس حتى بعد مماته. فردًا كان المؤسس أو مجموعة أفراد فإنه ينطبق عليهم هذا الاستحقاق لنيل الثواب والأجر عند الله سبحانه وتعالى.

وكذلك الحال مع الآثار السيئة لعمل الشرّ. كما ورد عن النبي ﷺ: «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، ومردّ

(١) الكافي، ج٩، ص ٣٧٢. ومثله في صحيح مسلم، حديث ١٠١٧.

ذلك أن صاحب السنة السيئة كان السبب في انخراط الآخرين في طريق المعصية والانحراف، فهو بذلك يكون شريكًا ويتحمّل وزرًا يستمر معه حتى بعد وفاته.

تجليات ومصاديق

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته أو ولد صالح يدعو له»[1]، والصدقة الجارية الواردة ربما تمثلت في تخصيص وقف خيري، لخدمة مشروع اجتماعي أو ديني أو ثقافي، وكلّما انتفع أحد منه فإنّ ثوابه يتواصل لمن وقف ذلك الوقف.

وكذلك الحال مع «سنة هدى سنها» الواردة في الرواية، فقد تكون مشروعًا أو فكرة عمل، ولعلّ من نماذج ذلك، ما تقوم به بعض الفعاليات من تقديم الجوائز لحفظة القرآن الكريم والمؤلفين والمبدعين، فجميع ذلك مما يصدق عليها أنها سنة حسنة، وذلك بالنظر إلى النتائج النافعة التي تحققها في المجتمع، وهي تظلّ تحسب في رصيد من أسّسها وبدأها. والحال نفسه مع من أنجب أولادًا وربّاهم تربية صالحة، فعمَّ نفعهم مجتمعهم، فإنّ الأبوين الذين ربيا الولد الصالح، ينعمان بثواب أعماله الصالحة دون أن ينقص من ثوابه شيئًا.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «سِتُّ خِصالٍ يَنتَفِعُ بِهَا المُؤمِنُ

(١) الكافي، ج٧، ص٥٦، حديث١.

بَعدَ مَوتِهِ، وَلَدٌ صالِحٌ يَستَغفِرُ لَهُ، وَمُصحَفٌ يُقرَأُ فيه، وَقَلِيبٌ يَحْفِرُهُ، وَغرَسٌ يغرسُهُ، وَصَدَقَهُ ماءٍ يَجْريه، وَسُنَّةٌ حَسَنَةٌ يُؤخَذُ بها بَعدَهُ»[1]، والقليب الوارد في الرواية هو البئر، ويتمثل في حفر الآبار التي يُسقى منها الناس، فهناك من الناس، في أفريقيا على سبيل المثال، من لا يجدون ماءً صالحًا للاستخدام في منازلهم، فيضطرون نتيجة ذلك للسير عدة كيلومترات حتى يستقوا الماء لأنفسهم ولعيالهم، بينما التكلفة الإجمالية لحفر البئر قد لا تتجاوز في المتوسط بين ٤٠٠ إلى ١٠٠٠ دولار تغطي حاجة عشرات أو مئات العوائل للماء، وهذا ما شجّع بعض أهل الخير على التبرع بمبالغ مخصصة لحفر آبار الماء في تلك المناطق، ومعلوم أن ثواب وأجر ذلك سيعود على من ساهم ودفع كلفة حفر ذلك البئر. وتستمرّ الرواية في تعداد النماذج حتى تأتي على القول «وغرس يغرسه»، ولعلّ في ذلك اشارة إلى أهمية التنمية المتمثلة في الزراعة، فزراعة الأشجار تمثل إضافة نوعية؛ لأن الناس تستفيد منها، سواء لجهة الاستفادة من ثمارها، أو لانعكاساتها البيئية الطبيعية على المحيط.

وهكذا نجد النصوص الدينية تشجع الإنسان على التفكير في أن يبقي أثرًا ينتفع به الناس من بعد رحيله عن هذه الحياة. فليس المطلوب أن يكون المرء فاعلًا ومنتجًا في حياته وحسب، إنما المطلوب أن يفكّر فيما سيترك خلفه من أثر بعد مماته، حتى يكون الأجر والثواب مستمرًّا له سواء من خلال فكرة صالحة، أو ابتكار علمي، أو مشروع اجتماعي، أو خدمة إنسانية مستمرة.

(١) محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق). الخصال، ص ٣٢٣.

تنمية روح العطاء

حبّ الإنسان لذاته يجعله حريصًا على حيازة المكاسب والمنافع لها، وهو أمر طبيعي مقبول ومشروع،

وهو يدرك حدود حاجته، في حدّها الأدنى والأقصى، ويستطيع أن يحدد حاجته من المال والمكاسب المادية المختلفة.

ما زاد على ذلك، ماذا يصنع به؟

على سبيل المثال: هو يحتاج في كلّ سنة مليون ريال، وربما يرفع المبلغ إلى مليون ونصف أو مليوني ريال من باب الاحتياط، فإذا كان لديه ما يزيد عن ذلك، ماذا يصنع بهذا المبلغ الزائد على حاجته وهو يرى إلى جانبه محتاجين لشيء من هذا المال؟

مثال آخر: من يجلس على مائدة طعام، يعرف مقدار كمية الطعام التي يحتاج إلى أكلها، كم هو المقدار الذي يشبعه، فهو ـ بالتأكيد ـ لا يستطيع أن يأكل بلا حدود!

الطعام موجود، لكن كم يستطيع أن يستهلك من هذا الطعام؟!

ماذا يفعل بالزائد عن حاجته؟

إذا كان حوله أُناس جائعون، والطعام أكثر من حاجته، لماذا لا يعطي باقي الطعام للمحتاجين؟!

هنا تبدو الطبيعة الأنانية المفرطة، الأنانية نزعة ذاتية، لكنها في بعض الأحيان تكون مفرطة، هذه الأنانية المفرطة تجعل الإنسان بخيلًا دون مبرر.

تارة يكون الإنسان محتاجًا للمال، وتارة يكون المتوفر لديه أكثر من حاجته بكثير، لذلك فإنَّ ما زاد على حاجته الفعلية والمحتملة، لماذا يبخل به؟!

هذا ما عالجته الآية الكريمة، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾ [سورة الإسراء، الآية ١٠٠]، أي حتى لو أنّ الله أعطاكم كلّ الخزائن التي في الكون، مع ذلك ﴿إذاً لأمسَكتُم خَشيةَ الإنفاقِ﴾ خزائن رحمة الله كلها تحت يد الإنسان، ومع ذلك يبخل خوفًا من الفقر لأن الإنسان في طبيعته غير المهذبة وغير الواعية (قتور) أي بخيل شحيح، ويقال في اللغة عاشَ عِيشَةَ تَقْتِيرٍ وَشَظَفٍ، أي عِيشَةَ بُخْلٍ وَشُحٍّ.

كيف يُخفّف الإنسان هذه النزعة الأنانية؟

وكيف يتجاوز حالة البخل غير المبرّر؟

إنّه بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أولًا: الالتفات إلى حاجاته الأخروية:

من يؤمن بأنّ هناك حياة أخرى، وأنّ هناك قيامة وبعثًا، يستعد لذلك اليوم وتلك الحياة، فكما أنك توفر احتياجاتك في هذه الحياة الدنيا، من زواج وسكن ومواصلات...إلخ

كذلك أنت في الدار الآخرة لك احتياجات.

كيف توفر احتياجاتك في الدار الآخرة؟

النصوص الدينية تبيّن أنّ الإنفاق في الدنيا هو ما يوفر لك متطلبات حياتك في الآخرة، هذا المال الذي بيدك لا ينبغي أن تحصره لتوفير احتياجاتك في هذه الدنيا فقط، إن لك احتياجات في دارك الأُخرى، والمشكلة أنك لا تعلم موعد الرحيل إليها، ربما بعد لحظه، أو بعد ساعة، أو بعد يوم، وربما بعد سنة أو سنين!

فعلى الإنسان أن يلتفت إلى هذا الجانب، حتى يعالج حالة الحرص والبخل في نفسه.

ثانيًا: التوجه للمكاسب المعنوية:

حاجات الإنسان في الدنيا ليست حاجات مادية فقط، فكما يقال (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان)، هناك جانب معنوي، يتمثل في تنمية النزعات الخيرة والمشاعر والأحاسيس الإيجابية في نفس الإنسان، واشباع الطموح والتطلع للمكانة الاجتماعية والتأثير في واقع الحياة،

هذه الأمور إذا توجه لها الإنسان، تحدّ من نزعة البخل والحرص عنده، فينفق على مجالات أخرى، غير حاجاته المادية التي يستهلكها.

ثالثًا: تنمية النزعة الغيرية:

على الإنسان أن يجاهد نفسه، ويفكر خارج ذاته، كما هو يريد أن يعيش مرتاحًا، هناك بشر حوله، من حقهم أن يعيشوا مرتاحين، وعليه أن يعرف بأنّ المال الذي جعله الله تحت يديه، لا لكي يتصرف فيه وحده وإنما كما يقول تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ١٩].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج، الآية: ٢٤].

وورد عن علي عليه السلام: «إنَّ اللهَ سُبحانَهُ فَرَضَ في أموالِ الأَغنِياءِ أقواتَ الفُقَراءِ، فَما جاعَ فَقيرٌ إلّا بِما مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعالى سائِلُهُم عَن ذلِكَ[1]».

هذا المال الذي بيدك ليس لك وحدك، وإنما للمحتاجين والفقراء، وللحاجات العامة نصيب فيه.

سترحل عن هذه الثروات

نحن نرى ونسمع عن أصحاب ثروات وممتلكات تركوها ورحلوا عنها!!

النهاية هي أن يكون الإنسان تحت التراب، في قبر محدود، هذه

(١) نهج البلاغة. حكمة رقم: ٣٢٨.

حقيقة يعرفها الإنسان، ويراها ماثلة أمامه، سيأخذ هذه الأموال آخرون، قد يكون هؤلاء أحباء لك وقد تكون لا تحبهم.

ينقلون عن مليونير كان يعيش في أمريكا سنة ١٩١٩م، لم يرغب أن تنتقل ثروته التي جمعها طيلة حياته إلى أفراد عائلته، لأنه لم يكن يحبّهم!!، لذا نصَّ على شيءٍ غريب في وصيته، وهو أن يُحظر توزيع ثروته إلّا بعد مرور واحد وعشرين عامًا على وفاة آخر حفيد من أحفاده.

في عام ٢٠١١م، وحين استوفيت هذه الشروط الغريبة، تقاسم اثنا عشر شخصًا من أحفاد الأحفاد الثروة التي كانت تقدر بـ ١٠٠ مليون دولار[١].

لديه أموال طائلة، وفي حياته لم ينفقها، ويعلم أنه لن يحتاج إلى هذا المبلغ الضخم، لكنه لا يحب أولاده وأحفاده، ولا يرغب أن يأخذوا من هذا المال شيئًا!!

لماذا لا ينفق الإنسان على أمور الخير والشؤون العامة في المجتمع؟!

أعرف إحدى الحالات بصورة مباشرة، عند تقسيم التركة طلبنا حضور أحد أقارب المتوفى، لاستلام حصته من التركة، فقال: إنني على خلاف مع هذا الرجل، لم أكن أتكلم معه ولا هو يتكلم معي!!

لكن الحكم الشرعي خوّله أخذ حصة كبيرة من تركة ذلك الرجل.

هذه حقائق يراها الإنسان ماثلة أمامه، فلماذا لا يستحضرها، حتى

(١) https://abunawaf.com/20818215

يتجاوز الحالة الذاتية ويفكر في الغير؟! وبعبارة أدق يفكر في مصلحته بصورة صحيحة.

رجال محسنون

ومن حسن الحظ أننا نرى في مجتمعاتنا رجالًا محسنين ينفقون من ثرواتهم في أعمال الخير، ويهتمون بالحاجات الاجتماعية، وقد نقلت وسائل الإعلام في الأيام الماضية أنّ رجل أعمال من المملكة تبرع بمليار ريال لإنشاء ٧٥ عيادة ريفية متنقلة في المناطق الفقيرة في عدة بلدان[١].

كما تبرّع رجل أعمال من الإمارات بمليار دولار لتثقيف الشباب العربي[٢].

وبحسب القائمة التي نشرتها «العربية. نت» والتي تضم أكبر عشرة متبرعين ومحسنين في العالم، وهم من بين أثرى أثرياء العالم، فإنَّ العربي الوحيد الذي ظهر اسمه في هذه القائمة هو رجل الأعمال السعودي سليمان بن عبدالعزيز الراجحي، الذي كشفت شركة أبحاث أجنبية أنه قدّم تبرعات وأموالًا لدعم أعمال الإحسان في العالم بلغت قيمتها ٥,٧ مليار دولار حتى الآن[٣].

وهكذا نسمع عن نماذج مشرقة في العمل الخيري الاجتماعي، لكنها تبقى نماذج محدودة.

---

(١) جريدة الرياض http://www.alriyadh.com/935787 .

(٢) العربية. نت http://ara.tv/j6gm7 .

(٣) العربية. نت http://ara.tv/cc7s6 .

كيف يمكن تسويق هذه النماذج وتحويلها إلى قدوات يتطلع أبناء المجتمع للاحتذاء بها، كل بحسب قدرته وطاقته، بحيث يفكر كلّ إنسان في أن يسهم في بناء ونهضة مجتمعه، في مساعدة المحتاجين، سواء في وطنه أو على مستوى العالم، كما نرى آخرين يبادرون لمثل هذه البرامج والمشاريع العالمية.

وفي مجتمعنا المحلي توجد حاجات، سواء على مستوى الأفراد، أو على الصّعيد الاجتماعي العام، وهناك خيرات وثروات متوفرة.

ما الذي يمنع هؤلاء الميسورين من العطاء؟!

ما الذي يجعل هؤلاء محرومين من التوفيق لصرف أموالهم فيما ينفعهم، يقول تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧] هم سيستفيدون من هذا الإنفاق، سواء كان في الدنيا حيث يبقي لهم الذكر الحسن، ويصبح المجتمع الذي ينتمون إليه أقوى، ويكونون ذوي تأثير في محيطهم، أو الثواب والأجر في الآخرة.

لدينا أندية رياضية في المنطقة فيها كفاءات عالية، استطاعت أن تحقق بطولات على مستوى العالم، وهي إطار لاستيعاب أبنائنا وشبابنا وحفظهم عن الضياع والانحراف. كما تنمي طاقاتهم ومواهبهم.

وفي مختلف المناطق نجد رجال الأعمال الأثرياء يتنافسون على دعم الأندية الرياضية في مناطقهم.

لماذا لا يكون هناك دعم بالمستوى المطلوب لهذه الأندية الرياضية في المجتمع؟!

البعض قد لا يعجبه مثل هذا المجال، حسنًا هناك مجالات إنسانية يمكن الإسهام فيها.

مثلًا تأسس بالمحافظة مركز أهلي للصحة النفسية، وهي مبادرة مهمة، يحتاج المجتمع إلى وجود مثل هذه المؤسسات؛ لأنّ المشاكل والأمراض النفسية في هذا العصر أصبحت كثيرة، وتحتاج إلى جهات تدرس هذه المشكلات وتضع لها الحلول، وتتواصل مع المصابين بها، وتضع لهم برامج لتجاوز الحالات النفسية التي يعيشونها.

هذه المؤسسة لا تزال تشكو من قلة الموارد وقلة الدعم.

ترتيب سلم الأولويات

توجد في المنطقة ـ ولله الحمد ـ مشاريع وأنشطة دينية واسعة، في كلّ قرية وفي كلّ مدينة لدينا مساجد وحسينيات، وهي في ازدياد وتوسّع، وبطبيعة تفاعل الناس مع الأنشطة الدينية يسهمون بسخاء في مثل هذه المجالات، وهو أمر نحمد الله عليه، ونشكر كلّ من بذل جهودًا في إنشاء المساجد والحسينيّات، لكن إلى جانب ذلك نحتاج إلى مشاريع ثقافية وعلمية وإنسانية.

المجتمع بحاجة إلى مكتبات ومتاحف ومراكز لتأهيل المعوقين.

العائلة تعاني من بقاء الطفل السوي في البيت إذا كانت لديه مشاكسات، فكيف بالطفل المعاق؟!

لماذا لا نلتفت إلى هذه الحاجات؟!

إدارة الأموال العامة

تارة يبخل الإنسان بماله الشخصي وهذا أمر مذموم، لكن الأسوأ حينما تكون تحت تصرف الإنسان أموال عامة هو ولي عليها، ويبخل بها، من لديه حقوق شرعية، يستلمها من الناس باعتباره معبرًا لإيصالها إلى مستحقيها وموارد صرفها، لماذا حينما تصل بيديه يتمسك بها ويبخل ويقتّر ويضع المبررات والأعذار؟!

المال الشخصي لا يحقّ للإنسان أن يبخل به، فما بالك بالحقوق الشرعية!؟

وكذلك الأوقاف! كم لدينا من الأوقاف في المنطقة؟!

ثروات هائلة، بعض أصحاب الأوقاف أخبروني أنّ الدخل أكثر بأضعاف من حاجة ما وُقف عليه، أحدهم يقول: لديّ وقف للحسينية، لكن ما أصرفه أقل من ١٠٪ من دخل الوقف!

قلت له: والباقي؟!

أجاب: في البنك.

لماذا هذه الأوقاف الهائلة الطائلة لا تُعالج من خلالها حاجات المجتمع؟!

وكذلك في الجمعيات الخيرية، يحدث في بعض الأحيان عندما يأتي الفقير للمسؤول في الجمعية الخيرية يطلب سدّ حاجته، يعيش المعاناة وكأنه ينتزع منه المساعدة انتزاعًا!!

صحيح أنه لا بُدّ من ضوابط ودراسة كل حالة لمعرفة مدى ومقدار استحقاقها للمساعدة، لكن في بعض الأحيان تكون هناك مبالغة في الموضوع، تؤدي إلى تجاهل بعض الحالات المستحقة للدعم، أو تقديم مقدار ضئيل من الدعم لا يفي بالحاجة.

علينا، أن نفكّر في هذا الأمر وأن نعرف الأولويات، ما نصرفه على الأمور والمسائل الدينية أمر جيّد، ولكن إذا كنا نريد الثواب والمنفعة علينا أن نلتفت إلى الحاجات الإنسانية والثقافية والمعرفية أيضًا.

علينا أن نوسّع من آفاق التفكير في مجالات البذل والعطاء، ونرتّب الأولويات، لتشمل مناطق الفراغ والحاجات الماسّة في المجتمع.

أعظم فرص الاستثمار

تتنوع أساليب الهداية والتوجيه الإلهي للناس، ففي القرآن الكريم أكثر من أسلوب في مخاطبة الناس، لتوجيههم إلى الهدى والخير والصلاح، وفي ذلك درس هامٌّ للمرشدين والموجِّهين، أن ينوِّعوا أساليب توجيههم، فقد يكون هناك أسلوب مؤثر في شخص، لكنه عديم التأثير في شخص آخر، فلابد من تنويع الوسائل والأساليب.

في القرآن الكريم دعوات كثيرةٌ للإنفاق في سبيل الله، وللبذل والعطاء في أمور الخير، لكنّها جاءت ضمن أساليب متنوعة، ومن تلك الأساليب تأتي اللغة الرقيقة في التعبير عن العطاء، بمصطلح الإقراض، وهو أن يعطي الإنسان مبلغاً من ماله لآخر على سبيل الدين، يعيده فيما بعد.

بهذه اللغة يشجع الله تعالى الناس ويوجّههم للإنفاق في سبيله، ويستثير وجدانهم ومشاعرهم بطلب القرضة منهم، يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ

وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٥].

هذا المال الذي بأيدينا هو من الله، لكنه سبحانه وتعالى يطلب منا أن نقرضه من ماله الذي آتانا.

وهل الله محتاج حتى نقرضه؟!

إنها لغة لإثارة المشاعر والوجدان في نفس الإنسان، الله هو الغني المطلق، ولا يحتاج إلى الناس.

وهؤلاء الفقراء الذين يدعونا الله للصدقة عليهم، كان يمكنه أن يعطيهم بشكل مباشر، ولهذا جاء احتجاج الكفّار على هذه الدعوة: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [سورة يس، الآية: ٤٧].

إذا كان الله سبحانه وتعالى رحيماً ولا يريد لهؤلاء الناس أن يعيشوا الفقر، لماذا يطلب منا أن نتصدّق عليهم؟! لماذا لا يعطيهم بشكل مباشر؟!

يجيب على هذا التساؤل أمير المؤمنين علي عليه السلام، في إحدى خطبه حيث قال: «وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»[1].

شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان لنيات الإنسان ومشاعره وسلوكه، لذلك كان المال بيد بعض الناس، ويحتاج إليه آخرون، وهنا يكون الامتحان، هل تجود نفسك وتتحرك مشاعرك؟!

الله سبحانه وتعالى يعبّر عن هذه الاستجابة بالإقراض، كأنك تقرض

(١) نهج البلاغة. الوصية بالتقوى، ١٨٣.

الله تعالى، وهذا القرض يعود لك أضعافاً مضاعفة.

معنى أن تُقرض الله

جاءت الدعوة للإنفاق بهذا الأسلوب في سبعة موارد في القران الكريم، منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الحديد، الآية: ١٨].

وتشير بعض الروايات إلى أنّ المقصود بالقرض الحسن هو ما يكون من مال حلال غير معيب، ولا تعقبه المِنّة على الطرف الآخر.

وفِي آية أخرى يقول الله تعالى ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّـهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن، الآية: ١٧].

ويقول الله تعالى ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّـهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [سورة المزمل، الآية: ٢٠].

ويقول تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٥]، فالدعوة للإنفاق بهذه اللغة كأنها استثمار للمال، فكما هو الحال في المصارف، حيث يستثمر الإنسان في أي شركة أو مصرف ويفكر في نسبة العائد من هذا الاستثمار.

إن العائد ليس مئة في المئة، بل مئات الآلاف في المئة، وعلى الإنسان أن يكون واثقاً بوعد الله.

جاء عَنْ ابن مَسْعُودٍ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ:

يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟!

قَالَ ﷺ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ

قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ ﷺ يَدَهُ.

فَقَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتُّمِائَة نَخْلَة.

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَاهَا يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ.

قَالَتْ: لَبَّيْكَ.

فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَدَارٍ فَيَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ[1]. (الفياح أي الواسع).

فالآية الكريمة وعدٌ من الله، بأن ما ينفقه الإنسان في سبيل الله هو بمثابة القرض، وسيعيده تعالى للإنسان، والآيات مطلقة، تشمل الدنيا والآخرة، الروايات تشير إلى ثواب الآخرة، وبركة الرزق في الدنيا، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «ما مِن يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فِيهِ، إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2].

(١) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ابن كثير). تفسير ابن كثير، ج٨، ص١٤.

(٢) صحيح البخاري، حديث ١٤٤٢. وفي الكافي: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ لَتَطْلُعُ وَمَعَهَا أَرْبَعَةُ أَمْلَاكٍ ... وَمَلَكٌ يُنَادِي: أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، وَآتِ مُمْسِكاً تَلَفاً». ج٧، ص٣٠٩.

والآية الكريمة فيها نوعٌ من التهديد المبطن، لأنها تقول (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ) أي أن الأمور بيد الله سبحانه، قد يهيئ للإنسان سبل التوفيق لزيادة خيره والبركة في ماله، وقد تسير الأمور باتجاه آخر، فتضيّق عليه أسباب الرزق!

إعطاؤك للفقراء والمحتاجين كأنه عطاء لله سبحانه، ولذلك ورد في حديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي،

قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟!»[1].

حينما لا تتصدّق على الفقير والمحتاج كأنك بخلت على الله تعالى، فالله هو الذي طلب منك نيابةً عنهم.

موارد الإنفاق في سبيل الله

كل ما ينفع الناس ويخدم الحياة ويطوّرها، فهو من مصاديق الإنفاق في سبيل الله، ويمكننا أن نصنّفها إلى أربعة مجالات وموارد:

الأول: المجال الديني

أن ينفق الإنسان من ماله لخدمة الدين وتعزيزه في المجتمع، فحين ينقاد الناس للقيم الدينية والمبادئ الإلهية، تستقيم حياتهم في الدنيا

(١) صحيح مسلم، حديث ٢٥٦٩. وفي الأمالي للشيخ الطوسي (ص٦٣٠): واستطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، كيف وأنت رب العالمين! قال: استطعمك عبدي، ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

ويحققون الفوز والفلاح في الآخرة، والإنفاق في إعلاء كلمة الله ونشر دينه، هو ما يرضي الله تعالى ويوجب حسن جزائه وثوابه.

ومن موارد هذا المجال: بناء المساجد والحسينيات والمدارس الدينية ووسائل الإعلام الديني والمشاريع القرآنية، وكل ما يعزز الحالة الدينية في المجتمع.

الثاني: البعد الإنساني

ويتحقق بالإنفاق في مجال نفع الناس ومساعدة المحتاجين، كالأيتام والفقراء والمساكين والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، فهو من أجلى مصاديق الإنفاق في سبيل الله.

فمثلًا هناك عوائل تعيش في بيوت تحتاج إلى صيانة، بيوت لا تتوفر فيها الحياة الكريمة اللائقة، وعلى الناس أن يهتموا بهذا الجانب.

بعض الجمعيات الخيرية اتجهت إلى مجال الاهتمام بتهيئة المساكن المناسبة للعوائل الفقيرة ومحدودي الدخل، وإنَّ ترميم هذه البيوت وصيانتها أو توفير البيوت لهم، هو أمر في غاية الأهمية، وينبغي على أبناء المجتمع دعم هذا التوجه والوقوف مع الجمعيات الخيرية في هذا المجال.

الثالث: التنمية الاجتماعية

ونعني بذلك التنمية المستدامة للمجتمع والارتقاء بالكفاءات، فكل مشروع يخدم رقيَّ المجتمع علمياً أو اقتصاديا أو اجتماعياً أو أخلاقياً فهو من مصاديق الإنفاق في سبيل الله.

حينما يسمع بعض الناس حديثًا عن الإنفاق في سبيل الله يتبادر إلى أذهانهم بناء المساجد والحسينيات، أو إعطاء الفقير والمحتاج، وهو أمر صحيح، لكن هناك مجالات أخرى ينطبق عليها عنوان الإنفاق في سبيل الله.

الرابع: الاهتمامات الحضارية

المجتمع بحاجه إلى مراكز علمية معرفية، ومؤسسات تنشر الوعي والثقافة في المجتمع، وتهتم بالمحافظة على البيئة، وكل ذلك من مصاديق الإنفاق في سبيل الله.

توجيه بوصلة الاهتمام

هناك إقبال من الناس على الإنفاق بالدرجة الأولى في البعد الديني، وبالدرجة الثانية البعد الإنساني، لكن الإقبال لايزال ضعيفاً في المجالين الآخرين.

وهنا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار حاجة المجتمع، ولا بدَّ من البحث عن مناطق الفراغ، والبحث عن الثغرات التي ينبغي أن تُسدّ، وهذا ما يحتاج إلى بحث ودراسة من قبل المهتمين بالشأن الاجتماعي.

الفصل الثاني

قوة المجتمع

بناء القوّة الاجتماعية

ينطوي مفهوم القوة على ألوان من التجلّيات. فقد يتجلّى ذلك في امتلاك الإنسان القوة البدنية والعضلات المفتولة، وربما تجسّد في التجلّي بالقوة العلمية والقدرات الفكرية، أو لعله تأتّى عن طريق الإمكانات المادية والثروة، أو الاستحواذ على الجاه والنفوذ الاجتماعي.

والإنسان القوي هو ذلك المتمكِّن من التعبير عن ذاته، والساعي نحو تحقيق أهدافه، والقادر على الدفاع عن مصالحه.

إنَّ الله تعالى يحبّ أن يرى عبده المؤمن ممتلكًا لمقومات ووسائل القوة في حياته، تبعًا لظروف كلِّ زمان ومكان، وذلك حتى يتمكن من ممارسة حياته الإيمانية بحرية، وليقدم أنموذجًا مشرقًا لانتمائه الديني، ذلك أنَّ القوي عادة ما يحظى بالاحترام، ويمتلك القدرة على خدمة أهدافه.

وعلى غرار الأفراد تتعدّد أنماط القوة لدى المجتمعات، فهناك مجتمع قوي وآخر ضعيف، ولنا أن نقول محاكاة للحديث الشريف الوارد عن

النبي ﷺ «الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]، إنَّ المجتمع القوي خير وأحبّ إلى الله من المجتمع الضعيف. لكن السؤال هنا، هو عن سبل امتلاك المجتمع لوسائل القوة؟

تجليات القوة الاجتماعية

هناك تجلّيات متعددة لتحقق مفهوم القوة لدى أيّ مجتمع من المجتمعات. ومن أبرزها تجلّيان:

أولهما، أن يزخر المجتمع بالقدرات والكفاءات، فأيّ مجتمع امتلك قطاعًا أوسع من الكفاءات والقدرات في مختلف المجالات، فإنّه بلا ريب يكون قد حقّق أحد أبرز تجليات القوة الاجتماعية، فيغدو قادرًا على التعبير عن ذاته، والدفاع عن حقوقه ومصالحه، وتبعًا لذلك ينال هذا المجتمع احترام المجتمعات الأخرى.

أما التجلّي الثاني لتحقق مفهوم القوة الاجتماعية؛ فيتمثّل في التماسك الاجتماعي، ومن أبرز مظاهره الراهنة قيام المؤسسات الاجتماعية، فأيُّ مجتمع امتلك أوسع عمل مؤسسي في أوساطه، فقد امتلك ناصية القوة الاجتماعية. ذلك أنَّ دور المؤسسات يضطلع بجمع شتات الكفاءات تحت سقف واحد، وينمّي ويوظّف هذه القوى والقدرات في خدمة أهداف ومصالح المجتمع. كما أنّ غياب المؤسسات الاجتماعية يكون عامل ضعف محوري حتى في ظل وجود الكفاءات الفردية المتناثرة هنا وهناك.

---

(١) الري شهري: حكم النبي الأعظم، ج٢، ص٢١٨. صحيح مسلم، حديث ٢٦٦٤.

لقد باتت المجتمعات في عصرنا الراهن تتنافس في توليد وإظهار قوتها الاجتماعية في مؤسساتها القائمة. فكلما زخر المجتمع بالمؤسسات العاملة في مختلف المجالات العلمية، الاقتصادية، الإعلامية، الاجتماعية، السياسية، فإن هذه المؤسسات هي ما تجعل المجتمع قويًا قادرًا على إدارة شؤونه، ومواجهة التحديات.

حال المؤسسات الأهلية في مجتمعاتنا

إنَّ مجتمعاتنا العربية والاسلامية تعاني شحًّا في المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني. ولربما عاد ذلك إلى أنّ مجتمعاتنا لا تزال تُصَنّف ضمن المجتمعات الناشئة، الخاضعة لقوانين لا تفسح المجال أمام قيام منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الأهلية، إلا ضمن أضيق الحدود.

وإضافة إلى ما سبق لا تزال ثقافة العمل الجمعي في مجتمعاتنا تعاني ضعفًا كبيرًا، وفي ظلِّ ذلك لا يجد العمل الاجتماعي التجاوب المأمول، ما يؤدي إلى شح المؤسسات الأهلية، ناهيك عن ملامح الضعف التي تعتري المؤسسات القائمة. وبالمحصلة ينعكس ذلك على ضعف المجتمع برمته.

إنّ الاكتفاء بالتشكّي والتوجّع، أو سرد الأمنيات، لا يحقّق أدنى مستوى من القوة الاجتماعية، وإنّما تُصنع القوة من خلال تنمية الكفاءات وقيام المؤسسات التي تحقّق التماسك الاجتماعي، وتجعل المجتمع قادرًا على إثبات وجوده، والدفاع عن مصالحه.

إنَّ من أبرز ملامح المجتمعات المتقدمة وفرة المؤسسات العاملة في مختلف الحقول. فلا تكاد تجد ناحية ولا مجالًا يخلو من انخراط منظمات المجتمع المدني ضمن سياقاته. في مقابل ذلك يفتقر الواقع العام في مجتمعاتنا إلى وجود المؤسسات الأهلية، حتى إنه بالكاد يمكن رؤية المؤسسات العاملة، الشحيحة العدد، في أي مجال من المجالات، وهذا ما يكشف عن ضعف حقيقي يعتري هذه المجتمعات، وذلك ما يتطلب توجّهًا جادًا لمعالجة هذا الضعف.

المبادرات والاستمرارية

من هنا يأتي السؤال عن سبل قيام المؤسّسات الأهلية المفضية للقوة المجتمعية. ويمكن القول: إنَّ هناك ثلاثة أمور جديرة بالأخذ بعين الاعتبار:

أولها؛ انطلاق المبادرات لسدّ الفراغ في مجال مؤسسات المجتمع الأهلي، وذلك بأن يتقدَّم كلُّ من يستشعر وجود الفراغ في أيِّ مجال من المجالات ويسدّ ذلك الفراغ بنفسه. فهناك على سبيل المثال رعاية السجناء والاهتمام بعوائلهم، فإذا ما بادر متطوع بتأسيس كيان أهلي يولي هذه الفئة الاهتمام المناسب، فإنه بلا شك يسدّ ثغرة عظيمة، ويلبي حاجة قائمة. وكذلك الحال مع إنشاء جهة أهلية تتولى مساعدة المرضى المحتاجين للمتابعة الحثيثة في الدوائر والمنشآت الصحية، سيما في ظل الثغرات الملحوظة في أداء القطاع الطبي. والحال ذاته مع التقدم بمبادرات مشابهة في مختلف المجالات الأخرى.

ولعل ثاني الأمور المفضية إلى قوة المجتمع، هو ضرورة الحفاظ على الاستمرارية والنَفَس الطويل في دعم المؤسسات الاجتماعية الناشئة. ذلك أنّه من المؤسف أن يجري التفاعل المؤقت مع المشاريع الاجتماعية الجديدة، الذي سرعان ما يخبو مع الوقت. إنّ الاندفاعة اللحظية والحماس المؤقت المصاحب لانطلاقة المشاريع يشكل نقطة ضعف كبيرة في الوعي المجتمعي، ويكشف عن تدنٍ وتراجع في تحمل المسؤولية الاجتماعية.

ولعلّ في مهرجانات الزواج الجماعي أبرز مثال على هذه الحقيقة، فقد كان مجتمعنا المحلي سبّاقًا في إطلاقها على المستوى الوطني، حيث انبثقت في العام ١٩٩٠ أول مبادرة لتنظيم احتفالات الزواج الجماعي وطنيًا في منطقتنا، وجرى إثر ذلك تنافس محموم بين قرى ومدن المنطقة في تنظيم أوسع المهرجانات، وسط تفاعل اجتماعي منقطع النظير، إلا أنّ هذا التفاعل سرعان ما أخذ يتّجه نحو الضمور والتلاشي، وشيئًا فشيئًا ذهبت تلك الاحتفالات طي النسيان. في مقابل ذلك استنسخت مجتمعات المناطق الأخرى تجربتنا في تنظيم مهرجانات الزواج، وطوّرتها، وعملت على إنجاحها، فأصبح لها مهرجاناتها السنوية التي يشار لها بالبنان.

وعلى غرار ذلك، ينسحب ضعف التفاعل الاجتماعي مع المهرجانات الترفيهية، والمنتديات الثقافية في منطقتنا. حيث برزت شكاوى من القائمين على أبرز المهرجانات المحلية، من تدني التفاعل العام، وقلة المتطوعين العاملين قياسًا على السنوات الماضية. وكذلك

حال المنتديات الثقافية، التي غالبًا ما تشهد تفاعلًا كبيرًا عند انطلاقتها، لكن سرعان ما تخبو هذه الحالة. إنّ مرد ذلك يعود لغياب الاستمرارية، والنفس الطويل، في دعم المؤسسات والمشاريع الاجتماعية. لذلك يغدو من المهم جدًا أن يتحلى الجميع بالاستمرارية في دعم المؤسسات الأهلية، ومساندة مختلف الأنشطة العامة. لأن مجمل هذه الفعاليات هو ما يصنع القوة لمجتمعنا، ويحفظ تماسكنا، ويمنحنا القدرة على التعبير عن ذاتنا الجمعية.

إنَّ شيوع الحالة التثبيطية في الوسط الاجتماعي تُعدّ مشكلة شديدة الإيذاء. وحقيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد عمل يخلو من المشكلات، فالعمل البشري معرض للأخطاء، غير أن ذلك لا يبرر بأيّ حالٍ استغلال تلك الأخطاء في إضعاف المؤسسات والفعاليات المجتمعية.

إنَّ من الدارج في المجتمعات المتقدمة، الحديث عن مؤسسات أهلية تمارس عملها منذ مئة أو مئتي سنة، وكثيرًا ما تابعنا احتفالات تلك الدول بمرور عقود طويلة على إنشاء هذه المؤسسة أو تلك الهيئة، في حين ما تزال مجتمعاتنا تشكو من ضعف الاستمرارية في عمل مؤسساتها الأهلية.

إن كلُّ فرد من أفراد مجتمعنا مدعو لأن يطالب نفسه بالقيام بدور ما تجاه المؤسسات الأهلية في منطقته، سواء الجمعية الخيرية، النادي الرياضي، المؤسسات الثقافية، المهرجانات الترفيهية، وليتحمل كلٌّ منا مسؤوليته تجاه دعم وإسناد وتطوير هذه المؤسسات في محيطه الاجتماعي.

ويتمثل الأمر الثالث نحو بناء القوة الاجتماعية في استمرار التمويل والعطاء للأنشطة الأهلية. فهذه المؤسسات تحتاج إلى دعم مالي مستمر، من الأثرياء المقتدرين وعامة الناس، وأفضل العطاء ما يجري عبر المؤسسات.

نماذج عطاء رائدة

ثمة نماذج وطنية عديدة لحالات العطاء المقدّم من خلال المؤسسات الأهلية الاجتماعية والثقافية، التي تقدر ميزانيتها بملايين الريالات، ومن ذلك على سبيل المثال؛ الإعلان في مدينة الخبر عن تأسيس جائزة لعمارة المساجد، وهي مخصصة لأفضل المساجد بناء وهندسة وعمارة، وقد خصص رجل الأعمال المؤسس للجائزة عبد اللطيف الفوزان وقفًا خيريًا يقدر بستين مليون ريال، يكون ريعه مخصصًا لتلك الجائزة حصرًا[١].

وفي نموذج وطني آخر، ذكرت الصحف المحلية أن أحد رجال الأعمال ناصر بن إبراهيم الرشيد في منطقة حائل تبرع ببناء مقر للنادي الأدبي في المنطقة على نفقته الخاصة، وبلغت تكلفة المشروع نحو ثلاثة وعشرين مليون ريال[٢]. وللمفارقة، بلغني أن كثيرًا من أدبائنا وشعرائنا في المحافظة ما يزالون يواجهون مشكلة في الحصول على مكان يجتمعون فيه، ويكون مقرًا لأنشطتهم!. فلماذا يغيب الدعم عن

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأحد ٢١ ذوالقعدة ١٤٣٣هـ، الموافق ٧ أكتوبر ٢٠١٢م، العدد ١٦١٧٦.

(٢) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الأربعاء٢٤ ذوالقعدة١٤٣٣هـ، الموافق١٠ أكتوبر ٢٠١٢م، العدد ١٦١٧٩.

مثل هذه الأنشطة والمؤسسات.

إن مساندة الكفاءات، ودعم المؤسسات، والأنشطة المجتمعية المختلفة، ينطوي على قيمة معنوية كبيرة. وقد تشرفت بتاريخ ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٣هـ بحضور حفل منتدى الكوثر الأدبي في القطيف، الذي أقيم بمناسبة توقيع أربعة من الشعراء الشباب لدواوينهم الشعرية، حيث ألقى كل من الشعراء الأربعة أبياتاً من شعره، إلى جانب تقديم قراءات نقدية لدواوينهم، وبنهاية الحفل نال الشعراء عددًا من الهدايا والدروع التكريمية، غير أن أكثر ما لفت نظري هو قيام أحد رجال الأعمال، وهو السيد هاشم بن السيد رضا الشخص، بتقديم مكافآت مالية بمبلغ عشرة آلاف ريال لكل شاعر، وسبق ذلك قيام السيد الشخص ذاته قبل أشهر قليلة بمنح مكافأة قدرها مئة ألف ريال خلال حفل تكريم أقيم احتفاءً بأحد العلماء نظير قيامه بتأليف كتاب حول أعلام هجر، وهو سماحة السيد هاشم بن السيد محمد الشخص.

هنا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن التكريم لا يكمن في المبلغ المالي الممنوح، بقدر ما يكمن في الاحتفاء والتكريم المعنوي للكفاءات، إلا أن التكريم المادي والمعنوي مجتمعين غالبًا ما يدفعان الكفاءات والمؤسسات نحو المزيد من التألق والعطاء والإبداع، ويتحقق بذلك التكافل الاجتماعي، وتمضي بذلك قدمًا مسيرة المجتمع نحو اكتساب القوة والتقدم.

نحن مدعوون جميعًا إلى دعم الكفاءات والمؤسسات المحلية

بأقصى ما نستطيع حتى يكون مجتمعنا قويًا. ولا فرق في ذلك بين دعم المؤسسات الاجتماعية والحقوقية والثقافية، فالمطلوب أن نتحمل المسؤولية تجاه أنفسنا، وتجاه مستقبل أبنائنا، وذلك ما يجلب محبة الله لنا، لأن الله تعالى يحب المجتمع المؤمن القوي الذي تتجلى مظاهر القوة في مختلف مفاصله.

المجتمعات وفاعلية النشاط الأهلي

تتفاوت المجتمعات في مستوى الفاعليّة والنشاط الأهلي، فبعض المجتمعات تزخر ساحتها بالحركة والفاعليّة الأهلية في مختلف الأبعاد والميادين. ومجتمعات أخرى تقلّ فيها الحركة، أو تعيش حالة من الركود والسُبَات.

إن مستوى الحركة في النشاط الأهلي يعكس مدى قوة المجتمع وحيويتّه، فكلّما تكثّفت مؤسّسات العمل الأهلي، وتنوّعت اهتماماتها زاد رصيد قوة المجتمع وتضاعفت مكاسبه.

ومن أهم تجليّات تلك المكاسب ما يلي:

١. تعزيز ثقة المجتمع بنفسه، واطمئنان أبنائه إلى رعاية مجتمعهم ودعمه لهم.

٢. كسب احترام وتقدير الجهات والمجتمعات الأخرى. فمن معايير جودة الحياة وتقدم المجتمعات على الصعيد الدولي

قياس مستوى العمل الأهلي والتطوعي، ونسبة المشاركة فيه من مجموع عدد السكان.

٣. إتاحة الفرصة لاكتشاف المواهب والقدرات في أبناء المجتمع، وتنمية طاقاتهم وكفاءاتهم. فالنشاط الرياضي يستقطب الراغبين فيه ويطوّر قدراتهم، وكذلك النشاط الأدبي أو الفني وغيرهما.

٤. استيعاب أبناء المجتمع ضمن الأطر الصالحة، وخاصة من شريحة الشباب الذين يمتلكون فائضاً من القوّة والوقت، وحينما لا يجدون الفرص المناسبة لتصريف ذلك الفائض، فإنّهم قد يصبحون فريسة للتوجّهات المنحرفة، أو يعيشون حالة اللامبالاة.

وكلّما اتّسعت ساحة النشاطات الإيجابية للشباب في المجتمع تقلّصت مساحات الضياع والانحراف. ولعل ذلك من معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[سورة هود، الآية: ١١٤].

٥. مساعدة المجتمع في مواجهة التحديات، ومعالجة المشاكل، فواقع الحياة يفرز كثيرًا من المشاكل، التي لا يخلو منها مجتمع، وليس صحيحاً الاعتماد على الحكومة في حل كل المشاكل، وتحميلها كل المسؤوليات والمهام.

النهوض بالعمل الأهلي

تَقَدُّمُ العمل الأهلي أو تراجُعه في أيِّ مجتمع ليس أمراً عفوياً حسب الصدفة والاتّفاق، وإنّما بسبب وجود عوامل وأسباب تؤدي إلى التقدّم

أو التراجع.

ولعل من أهم تلك العوامل ما يلي:

١. **الثقافة السائدة**: حين تنتشر في المجتمع ثقافة تدعو إلى الحركة والفاعليّة، وتحمّل الإنسان المسؤولية تجاه واقع مجتمعه، وتؤكّد على قيمة العمل والآثار الإيجابيّة للسعي نحو الخير، وتشيد بفضل العاملين، وتقدير إنجازاتهم وعطاءاتهم.. حين تنتشر مثل هذه الثقافة، فإنّها تحفّز الناس وتدفعهم نحو المبادرة للعمل، والتصدّي لقضايا المجتمع.

أما حين تسود أجواء المجتمع ثقافة سلبية تبريريّة، تضعف ثقة الإنسان بنفسه، وتشكّكه بقدرته على الإنجاز، وتضخّم العوائق والموانع أمامه، وتقلّل من جدوائيّة العمل والتحرّك، وتبحث عن نقاط الضعف والثغرات عند العاملين المصلحين لِتُشَوِّهَ سمعتَهم.. فإن هذه الثقافة السقيمة تحول دون نموّ العمل الأهلي والفاعليّة الاجتماعية.

٢. **القوانين الحاكمة**: في بعض المجتمعات تفتح القوانين الرسمية المجال واسعاً أمام حركة النشاط الأهلي، وتسهّل إجراءات قيام المؤسسات الشعبيّة، والعمل التطوعي الاجتماعي، بل تحرص على تقديم الامتيازات والحوافز لتشجيع العاملين على هذا الصعيد.

بينما تتشدّد القوانين والأنظمة في مجتمعات أخرى، في

احتكار أيِّ عمل أو نشاط إلاَّ في الإطار الحكومي الرسمي أو تحت إشرافه ورقابته، لذلك تُعقِّد إجراءات السماح والترخيص للأنشطة الأهلية، مما يضيّق الخناق على المبادرات التطوعيّة والنشاط الاجتماعي.

٣. **القيادات الاجتماعية:** في كلِّ مجتمع قيادات تحظى بثقة أبنائه، وتؤثّر في توجّهاتهم، كعلماء الدين والوجهاء النافذين والزعامات المؤثرة، وحين تكون هذه القيادات على مستوى متقدّم من الوعي ورحابة الصدر، فإنّها ستتبنّى الدعوة إلى الفاعلية والنشاط، وترعى مبادرات العمل الأهلي على الصُعد المختلفة.

أما إذا كانت قيادات المجتمع تعاني من ضيق الأفق، وأنانية التفكير، فإنها ستتحسس من أي مبادرة أو نشاط، خوفاً من التأثير على مواقع نفوذها، وقلقاً من بروز قوى جديدة تنافسها على الزعامة والظهور.

٤. **روح المبادرة:** مهما كانت الظروف مناسبة لأيِّ تحرك أو نشاط، فإنَّ إشارة البدء وعملية الانطلاق تحتاج إلى من يأخذ زمام المبادرة، ويعلّق الجرس، شخصاً كان أو أكثر، ثم تحصل الاستجابة والتفاعل من الواعين والمخلصين من أبناء المجتمع، حيث تتوفّر القدرات والإمكانات، وهذه هي قصة البداية لأيِّ مشروع اجتماعي ونشاط أهلي.

إنَّ وجود العناصر الطموحة، التي تمتلك روح المبادرة، وتتبنّى

مشاريع خدمة المجتمع، هو العامل الأساس في فاعلية المجتمع ونشاطه الأهلي، حتى لو كانت هناك عقبات وعوائق، فإنَّ المبادرين حينما يتحلون بالاستقامة والثبات، فإنَّهم يتجاوزون تلك العوائق والموانع.

توسيع قاعدة العمل التطوعي

تتنافس المجتمعات الإنسانية في الإقبال على العمل التطوعي الخيري، الذي يخدم المصلحة العامة في مرافقها المختلفة، ويستهدف مناطق الضعف في المجتمع ويرتقي بحياة الناس.

ففي معظم مجتمعات بلاد العالم هناك من يتطوع لمساعدة الفقراء، وإغاثة المحتاجين، وحماية البيئة، ودعم المرضى، ونشر التوعية بقضايا الحياة، وبثّ القيم الإنسانية.

وبعض المؤسسات التطوعية تعمل على المستوى العالمي، ولا يقتصر نشاطها على بلدٍ أو عرقٍ أو أمّةٍ أو طائفةٍ، وأصبح المجتمع الدولي يحتضن هذا المسار من العمل الإنساني، حيث ترعاه الأمم المتحدة عبر مؤسساتها التخصصية.

وقد أتاحت الأمم المتحدة للمنظمات الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني ضمن مواصفات معيّنة الانضواء تحت مظلّتها، وأصبحت كلّ دولة من دول العالم لها قوانين وأنظمة تنظّم العمل الخيري التطوعي، وترعى مؤسسات المجتمع المدني.

بالطبع هناك تفاوت بين الحكومات في قوانينها تجاه العمل الأهلي، بين دول تعتمد المرونة، لكي تفتح المجال رحبًا واسعًا أمام مختلف

الأنشطة الأهلية، وتقدم تشجيعاً وامتيازات لمن يشارك في العمل الخيري التطوعي، وبين دول أخرى لديها تحفّظ على النشاط الأهلي ومؤسسات المجتمع المدني، وفي قوانينها نوع من التشدّد والتقييد مما ينعكس سلبًا على مستوى العمل التطوعي، فكلّما كانت أنظمة الدولة أكثر مرونة كان نشاط المؤسسات التطوعية أكثر اتّساعًا، كما أنّ مدى تجاوب المجتمع مع النشاط الخيري التطوعي عامل مؤثر في نموه وقوته، والمجتمعات متفاوتة على هذا الصعيد.

ويبدو أنّ مجتمعاتنا المحلية تحتاج إلى رفع درجة تفاعلها مع النشاط التطوعي، حيث ما تزال الجمعيات والمؤسسات الخيرية تشكو من ضعف إقبال الناس عليها، سواء من ناحية الموارد البشرية العاملة، أو لجهة الدعم المالي، أو لجهة التفاعل العام الإعلامي والاجتماعي.

وإذا ما قارنا تفاعل الناس مع العمل الخيري التطوعي في مجتمعاتنا المتدينة قياسًا إلى المجتمعات الغربية التي نصنّفها بـ (المجتمعات المادية) فسنجد أنّ تفاعل تلك المجتمعات مع النشاط الخيري الإنساني ـ في كثير من الأحيان ـ أفضل من تفاعل مجتمعاتنا، وهذا يتضح من خلال التقارير والإحصائيات.

وكما يذكر موقع عالم التطوع العربي، فإنّ عدد المنظمات الخيرية في كلّ أقطار العالم العربي لا تتجاوز مجموع المنظمات الخيرية في ولايتين فقط من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يحظى كلّ مئتي شخص

بمؤسسة للبذل التطوعي[١].

وفي آخر الإحصائيات الرسمية بلغ عدد المتطوعين في أمريكا ما يقارب ٦٣ مليون متطوع، محققين في عام ٢٠١٧م ٨ مليار من ساعات العمل التطوعي[٢].

وفي ألمانيا يعد العمل التطوعي أو ما يطلق عليه حاليًا «رأس المال الاجتماعي»، ظاهرة في المجتمع الألماني نظرًا للأعداد الكبيرة التي تنخرط في الجمعيات الناشطة في مجالات الخدمات الإنسانية والاجتماعية والثقافية. وتشير بعض الإحصائيات إلى أنّ نحو ٤٥٪ من الألمان ممن تتجاوز أعمارهم ١٥ عامًا ينخرطون في أعمال تطوعية. كما تكثر الجمعيات الألمانية التي تنشط في الخارج، والتي ترسل متطوعين للانخراط في مجالات شتى، كتقديم الخدمات الصحية في عدد من الدول التي تعاني من ويلات الحروب أو الكوارث البيئية[٣].

إنجازات تستحق التقدير

بحمد الله تعالى فقد انطلقت في مجتمعنا مبادرات رائدة، أنتجت نشاطاً وحراكاً اجتماعياً يتطوّر يوماً بعد آخر، وعلى مختلف الصُعد، فهناك جمعيات خيرية، ولجان كفالة أيتام، وأخرى للمساعدة على الزواج، ومؤسسات لتعليم القرآن، ومنتديات أدبية، وتجمّعات علميّة.

---

(١) مجلة البيان، العدد ١٩١، ص١٠٢.

(٢) جريدة اليوم، السبت ١٨ / ٠٨ / ٢٠١٨م.

(٣) مقال بعنوان: ظاهرة العمل التطوعي في ألمانيا. https://p.dw.com/p/DrRb

هذه الأنشطة الأهلية أتاحت الفرصة لتفجير الكفاءات وتنميتها، وكشفت عن كثير من المواهب والقدرات في أوساط أبنائنا، كما أسهمت في معالجة كثير من المشاكل.

وانبثاق مثل هذه المبادرات، ونجاحها في بناء كيانها، وتحقيق الإنجازات، وتخطي العوائق، دليل على تقدّم وعي المجتمع، وعمق مخزون الخير في نفوس أبنائه، وشاهد على جدوى الفاعلية، وإمكانية النجاح.

ومع التقدير لكلّ الأنشطة القائمة في المجتمع من دينية وثقافية واجتماعية، فإن المتوقع من مجتمعنا أكثر، حيث يمكن لهذه الأنشطة أن تكون أكبر حجماً وأكثر عطاءً، حين يتوفّر لها تجاوب ودعم أكبر، كما أن هناك مناطق فراغ في حاجات المجتمع واهتمامات أبنائه لا تزال في دائرة الغفلة والإهمال تنتظر المبادرات الخيّرة للاهتمام بها والتصدّي لها.

العمل الأهلي.. نحو تطوير الوعي والتشريعات

ليس هناك عمل يجعل المرء أقرب من الله، وأكثر محبة عنده، يضاهي خدمة الناس. فأن ينخرط الإنسان في مجال العمل التطوعي لخدمة الآخرين، فذلك وفقًا للنصوص الدينية أفضل عمل يمكن أن يقربه إلى الله ويجعله محبوبًا عنده سبحانه وتعالى. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخَلْقُ عِيَالُ اَللَّهِ فَأَحَبُّ اَلْخَلْقِ إِلَى اَللَّهِ مَنْ نَفَعَ عِيَالَ اَللَّهِ»[1]، وورد عنه ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ عِبَادِ اَللَّهِ إِلَى اَللَّهِ جَلَّ جَلاَلُهُ أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِهِ»[2]، وقال رجل لرسول الله ﷺ: أحبّ أن أكون خير الناس، فقال ﷺ: «خَيرُ النّاسِ مَن يَنفَعُ النّاسَ، فَكُن نافِعا لَهُم»[3]، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خَيْرُ النّاسِ مَنْ تَحَمَّلَ مَؤُنَةَ النّاسِ»[4]، إنّ جميع النصوص

(١) الكافي. ص١٦٤، حديث ٦. وفي مجمع الزوائد للهيثمي، ج٨، ١٩٤.
(٢) بحار الأنوار. ج٧٤، ص١٥٢، حديث ١١٠. وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ). حديث ٩٠٦.
(٣) كنز العمال. ص١٢٨، حديث ٤٤١٥٤.
(٤) علي بن محمد الليثي الواسطي. عيون الحكم والمواعظ، ج١، ص٢٣٩.

السابقة تؤكّد حقيقة واحدة، وهي أنّ من أفضل الصفات والقربات هي خدمة الناس، والانخراط فيما بات يعرف اليوم بمجال العمل التطوعي.

كلّ البشر عيال الله

وينطوي التوصيف النبوي للناس بأنهم عيال الله على مضامين عميقة. فكما أنه لا يكاد يوجد باعث على الفرح أكثر من أن يجد الإنسان الآخرين يحسنون إلى عائلته والمقربين منه، احترامًا وتقديرًا لشخصيته، فكذلك الحال مع الخالق سبحانه وتعالى، فليس أحبّ عنده عزّ وجلّ من أن يرى من يحب ويخدم عباده، الذين هم عياله وفقًا للحديث الشريف.

تجسيد القيم الفاضلة

وتمثل خدمة الناس تطوعيًّا تجسيدًا للقيم الفاضلة، حيث تتجلّى في العمل التطوعي قيم الرحمة والإحسان والإصلاح والعدل. وتحمل خدمة الناس تطوعيًّا دلالات عميقة على طهارة القلب، وطيب النفس، وتجاوز الإنسان للأنانية الضيقة، والشحّ والأضغان والأحقاد، فليس هناك من طريق أوسع لخدمة الناس من تجاوز الشحّ النفسي والأنانية، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وإذا كانت غاية المؤمنين المتديّنين نيل رضا الخالق تعالى، فإنّ السبيل إلى ذلك أن يتحول مجتمعهم ساحة للتنافس في العمل التطوعي والخدمة الاجتماعية. بأن ينزل الجميع إلى مضمار المنافسة والتسابق نحو خدمة الناس.

وعلى النقيض من ذلك، إذا ما وجدنا أنّ اللجان الأهلية والجمعيات

الخيرية تستجدي أبناء المجتمع للاشتراك في عضويتها، وتتمنى عليهم الترشح للقيام بأعبائها، وترجوهم الحضور والمشاركة في لقاءاتها وجمعيتها العمومية، فلا معنى لذلك سوى أنّ هذا المجتمع يعاني الفقر في ثقافته الدينية والإنسانية على حدٍّ سواء، وهي التي يجب أن تحرك سلوكه ومشاعره، هذا هو لبّ المشكلة.

مجتمعاتنا ومحدودية النشاط التطوعي

ومع كلّ التقدير للأنشطة الاجتماعية القائمة في مجتمعاتنا، إلا أنّها تعدّ قليلة قياسًا إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحال. سيما ونحن نتحدث عن مجتمعات متديّنة، تعجّ نصوصها الدينية بالمضامين التي تعتبر مساعدة الناس من أفضل القربات، مما لا يتناسب بأيِّ حال مع ضعف الأنشطة القائمة على الأرض، كما لا يقارن بالإقبال الكبير على الأعمال التطوعية في المجتمعات الأخرى، التي تصنفها أوساطنا بأنها مجتمعات مادية.

ويبدو الإقبال على الأعمال التطوعية شديد الضعف قياسًا إلى حجم الحاجات في مجتمعاتنا، التي لا تزال تفتقر إلى البنى المجتمعية، ويلزمها تغطية كثيرٍ من الحاجات، وهذا يعني الحاجة ليس إلى المئات بل إلى الآلاف من الجمعيات واللجان والمؤسسات الأهلية التطوعية. وبمناسبة اليوم العالمي للتطوع الذي أقرته الأمم المتحدة في الخامس من ديسمبر من كلّ عام، ندعو أنفسنا ومجتمعاتنا إلى الارتقاء بمستوى العمل التطوعي إلى الأفضل، والإقبال على الأعمال الاجتماعية الخيرية.

تشريعات مساعدة للعمل الأهلي

لقد تحول العمل التطوعي في عصرنا الراهن إلى عمل مؤسسي وجماعي أكثر من كونه عملًا فرديًّا. ذلك أن العمل الجماعي أكثر جدوى وتأثيرًا، من خلال انضمام الفرد للعمل في جمعية تطوعية، أو القيام بتأسيس جمعية تطوعية للخدمة في أيّ شأنٍ من الشؤون الاجتماعية.

ولا بُدّ من الإقرار بأنّ العمل الأهلي التطوعي في مجتمعاتنا لا يزال يخضع لقيود رسمية صارمة. في غياب التشريعات المشجعة على العمل التطوعي، التي تفسح المجال واسعًا أمام العمل الأهلي، والسماح بإنشاء منظمات المجتمع المدني.

ينبغي فتح المجال أمام انطلاق منظمات المجتمع المدني على كلّ الصُّعد، وفي مختلف المجالات؛ الخيرية والفنون والثقافة والبيئة والمعرفة وغيرها.

إنّ الجمعيات والمؤسسات الأهلية في المملكة، لا تزال عند حدودها الدنيا، قياسًا إلى البلاد الأخرى الأصغر منها مساحة، والأقلّ سكانًا. فبحسب موقع وزارة الشؤون الاجتماعية على الإنترنت، يوجد في المملكة نحو ٦٥٠ جمعية خيرية، و١٢٠ مؤسسة خيرية، منها ٤٠ جمعية نسائية، ولنا أن نتخيّل أن هذه الكيانات التي لا يكاد يصل مجموعها إلى ١٠٠٠ كيان، منوط بها خدمة ٢٩ مليون نسمة هم إجمالي السكان. في حين نجد في العاصمة اللبنانية بيروت وحدها ما يربو على ٨٥٣ جمعية، أي ما يتجاوز عدد الجمعيات العاملة في أراضي المملكة برمّتها، مع أن

سكان مدينة بيروت لا يكاد يتجاوز ٤٠٠ ألف نسمة، ناهيك عن وجود أكثر من ٢٠٠٠ جمعية هي إجمالي عدد الجمعيات الخيرية العاملة في لبنان. وكذلك الحال في الأردن الذي يتراوح سكانه بين الستة إلى سبعة ملايين نسمة، نجد فيه أكثر من ١٣٣٩ جمعية أهلية عاملة. من هنا تنبع الحاجة إلى تشريعات تتيح مرونة أكبر حيال إنشاء منظمات المجتمع المدني، وإتاحة الفرصة على نحو أوسع لعمل الجمعيات الأهلية في البلاد.

إنّ قيام منظمات المجتمعات المدني يُعدّ عاملًا حيويًّا لأمن واستقرار المجتمع. وذلك بالنظر إلى تلهف الشباب لقيام كيانات يعبرون من خلالها عن أنفسهم، ويفجّرون فيها طاقاتهم، ويصرفون عبرها فائض الوقت والجهد لديهم، ولا شك بأنّ قيام مؤسسات المجتمع المدني سيكون أحد أبرز المجالات التي تستوعب كل ذلك، فيتحول الشباب عندها إلى قوى منتجة مفيدة، عوضًا عن أن يكونوا قوة تخريبية لأمن المجتمع. من هنا يكون تسهيل قيام الجمعيات التطوعية في أيِّ مجال من المجالات، تحت سقف القانون، عنصرًا بالغ الفائدة لأمن واستقرار البلاد.

ثقافة العمل التطوعي

غير أنّ مجتمعاتنا لا تزال في حاجة ماسة لثقافة العمل التطوعي. فقياسًا إلى الثقافة المحفزة على البرامج العبادية والشعائرية، لا تحظى المجالات الاجتماعية الإنسانية بذات القدر من الاهتمام، والحال أنه ينبغي الموازنة بين الجانبين، وعدم إغفال جانب لصالح آخر.

إذ من غير المفهوم مثلًا أن يتخطى الكثيرون العقبات الرسمية من أجل أداء فريضة الحج المستحبة مرارًا وتكرارًا، في حين تستجديهم الجمعيات الخيرية من أجل مدّ يد العون، وبالكاد تلقى الاستجابة المتواضعة. فإذا كان أداء الحج المستحب طمعًا في رضا الله، فإنّه يتحقق في خدمة الناس، من خلال الجمعية الخيرية، أو النادي الرياضي، أو سائر المؤسسات التطوعية، وما يدريك لعلّ الثواب في العمل الخيري التطوعي يفوق بمراحل ثواب الحج والزيارة، والمجالس الدينية، بل وسائر الأعمال المستحبة.

ولا نقول ذلك من باب التقليل من شأن الأعمال العبادية، فوجود مختلف الأنشطة الدينية أمر مطلوب، لما توفره من الزخم الروحي المعنوي لأبناء المجتمع، لكن ينبغي في الوقت نفسه ألّا يجري إغفال الخدمة الاجتماعية.

هناك نصوص دينية كثيرة تذهب إلى ترجيح كفة الأعمال الاجتماعية على حساب الأعمال العبادية. بل ويذهب بعضها إلى حدِّ اعتبار إسداء خدمة اجتماعية تسدّ رمق إنسان وتلبّي حاجته لهي أعظم ثوابًا من ألف حجة إلى بيت الله الحرام. وقد روي في هذا الصّدد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم للناس، وأحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إليّ من اعتكاف

في هذا المسجد شهرًا»[١]، وبعملية حسابية بسيطة يشير إلى أنّ السعي في حاجة مؤمن واحد فقط، هي أحبّ وأفضل من الاعتكاف على العبادة في المسجد النبوي نفسه شهرًا كاملًا، مع ما في ذلك من عظيم الثواب. نحن في أمس الحاجة إلى ضخّ المزيد من الثقافة المحفّزة على العمل التطوعي.

أخلاقيات العمل الجمعي

لا بُدّ من الإشارة إلى ملاحظتين مهمتين تتعلّقان بمجال العمل التطوعي:

الملاحظة الأولى: على العاملين في هذا المجال التحلّي بروح الانسجام في عملهم، من خلال تجاوز الخلافات والانقسامات، سيما وأن من فوائد العمل التطوعي هو تقوية الروابط، وأن يتعلم الناس كيف يتعاملون مع بعضهم بعضًا. إنّ الخلافات التي قد تنشب أحيانًا بين بعض العاملين في الجمعيات الخيرية، أو الأندية الرياضية، أو اللجان الأهلية، غالبًا ما تكشف عن ضعف في أخلاقيات العمل الجمعي. وذلك ما ينبغي أن يتم تجاوزه بأن يجعل الجميع الاختلاف فيما بينهم اختلافًا منضبطًا، فإذا ما أراد أحد أن يستقيل من المؤسسة الأهلية التي يعمل بها مثلًا، فليس هناك من داعٍ لأن يسيء إلى زملائه، ويحول الاستقالة إلى أزمة ومناسبة لتقاذف التهم مع الآخرين، وإنما المطلوب اتباع قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

(١) كنز العمال. ج١٥، ص٩١٧، حديث٤٣٥٣٨.

الملاحظة الثانية: ضرورة أن يكتسب العاملون في مجال العمل التطوعي المناعة ضدّ تشويه السمعة. إذ من المؤسف أنه مع حاجة مجتمعنا الماسّة لجميع الطاقات العاملة في الشأن العام، إلا أنّ هنالك صنفًا من الناس ممن لا شغل لهم سوى تناول العاملين في الخدمة والشأن العام في أحاديثهم، من خلال النيل من هذا والكتابة ضدّ ذاك، فعوضًا عن المساهمة في العمل، تجدهم يتخصّصون في التجريح في العاملين في الشأن العام، سواء السياسي، أو الاجتماعي، أو الديني والثقافي.

وحتى لا يلتبس الأمر، نحن لا نقصد الوقوف في وجه النّقد البناء الإيجابي الذي ينبغي أن يشقّ طريقه على شتّى الصُّعد، وإنما نحن بإزاء صنف من الأشخاص ينبشون في نيّات الناس فيشككون فيها، فمن السهولة عندهم بمكان رمي شخص عامل بتهمة حبّ البروز على سبيل المثال، وما يدري هؤلاء بما في قلوب الناس، وهذا ما يذكرنا بقول النبي ﷺ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتّى تَعْلَمَ»[1]. وماذا عنك أنت يا صاحب الاتّهام، هل تجد نفسك في قمة الإخلاص عندما تنال من الآخرين، وتشوّه سمعتهم، عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي؟، أم هي النزعة المغالية في الإساءة للناس؟

على العاملين في المجال التطوعي أن يتّسموا بالمناعة تجاه هذه الحالة، وألّا يتأثروا ولا ينزعجوا، فمن يريد العمل في الشأن العام فإنّ عليه أن يستعد لدفع هذه الضريبة، فلن يُسكت عنهم أبدًا، هناك دائمًا

(١) صحيح مسلم، كِتَاب الإِيمَانِ، حديث ١٥٨.

المادح والقادح، وهناك المتربصون والحسّاد وكارهوا النجاح، الذين يغيظهم أن يجدوا الناجحين أمامهم.

ولنتذكر دائمًا قول المفكر الأمريكي ألبرت هوبارد: «لكي تتجنب النّقد، لا تعمل شيئًا، ولا تقل شيئًا، ولا تكن شيئًا»، وبمعنى آخر، من لا يريد أن يطاله النقد فليبق شيئًا مركونًا مهملًا بلا أيِّ دور، حينها لن يطاله النقد. غير أن الإنسان مطالب أمام خالقه ودينه ووعيه بأن يتحمل المسؤولية تجاه المجتمع.

الشباب مرحلة العطاء الاجتماعي

يمرّ الإنسان في حياته بمراحل وأطوار، ولا سيطرة له على هذه المراحل، فليس بمقدوره أن يوقف نفسه في مرحلة معينة من تلكم المراحل، بحيث يبقى فيها ولا يتجاوزها، كما أنه لا يستطيع أن يقفز على هذه المراحل أو يحرقها. إنَّ قرار المجيء إلى الدنيا أو البقاء فيها أو الرحيل عنها، ومعها التنقّل من مرحلة عمرية إلى أخرى، كلّ ذلك بيد الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[سورة الحج، الآية: ٥].

تستمرّ الحياة الإنسانية في مراحل تطوّرها ابتداءً من النطفة، بإرادة وتدبير الله تعالى، والإنسان ـ في ذلك كلّه ـ خاضع للسُّنة الكونية في الحياة. وفي تحليل لطبيعة الحياة الإنسانية، يبدأ الإنسان حياته بمرحلة

الضعف الأولى في طفولته، لينتهي ـ بعد ذلك ـ بمرحلة الضعف الأخرى في شيخوخته، وبينهما يتمتّع بمرحلة القوّة والنشاط والحيوية، وهو ما تفيده الآية القرآنية الكريمة: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة الروم: الآية ٥٤].

يشعر الإنسان بحالة القوّة والنشاط في مرحلة الشباب، وهي المرحلة التي يتمنّى كلّ فرد أن يبقى متمتّعًا بها فلا يفارقها، ولا يشوبه ضعفٌ في مرحلة الشيخوخة لاحقًا، لكن ذلك لا يكون لأحد. فهذه المرحلة هي فرصة زمنية يعطيها الله لكلّ إنسان ليبذل فيها طاقته، ويستفرغ وسعه، فيحاسب على أدائه ووفائه لمستحقّاتها عليه، فهي كسائر النعم التي يُنعم الله بها علينا، ومن ثَمَّ يُحاسبنا على أدائنا تجاهها.

المجتمع واستثمار ثرواته البشرية الشابّة

إنَّ مسؤولية استثمار مرحلة الشباب الاستثمار الأمثل، هي مسؤولية الفرد والمجتمع، فقد يكون الفرد ضحية إهمال المجتمع، وتوجيهه الوجهة الخطأ، كما أنَّ الفرد غير معذور في إهدار ما وهبه الله من طاقة شبابية، كان يفترض به أن يوجِّهها الوجهة الصحيحة. ففي مرحلة الشباب يعيش الإنسان توهُّجًا جسميًّا وعاطفيًّا، وإرادة للعمل، وطموحًا نحو أهداف كبيرة، وتطلّعات مستقبلية واعدة. ويفترض بالمجتمعات أن تتوجّه نحو هذه الشريحة، لاستثمار هذه الروحية المعطاء الوقّادة، بحيث تحتضنها مؤسّساتها، وتعمل على استثمار طاقاتها، فيما يخدم المجتمع، ويرفع من شأنه، وشأن هذه الشريحة. يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله مَلَكًا ينزل في كل ليلة ويقول: يا أبناء العشرين فما فوق، جِدُّوا

واجتهدوا»[١]. إنه نداء خاص للفئة الشابة، يحرّضهم على استثمار هذه المرحلة، قبل أن تصيب الإنسان الحسرات على فواتها، فهي مرحلة العمل والعطاء، ولا يمكن للإنسان أن يعوّضها، فيما لو ذهبت به الأيام والسنوات دون أن يجدّ فيها. والنصوص الدينية تشجّع الإنسان على هذا المعنى، إذ ورد عن نبينا الكريم محمد ﷺ أنه قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ...»[٢].

إنَّ المجتمعات المتقدّمة تفتح المجال أمام شبابها، من أجل أن يستثمروا هذه المرحلة من أعمارهم، وأن يقدّموا لأوطانهم وشعوبهم ما يستطيعون من خدمات، ترقى بتلكم المجتمعات خطوات أكثر إلى الأمام، وبخلافها المجتمعات المتخلّفة التي تتجاهل هذه الطبقة، فلا تُفسح المجال أمام شبابها وشابّاتها، أن يتحمّلوا المسؤوليات التي يستطيعون الخدمة فيها، ولا يمنحونهم الثقة التي يتمكنون من خلالها القيام بدورهم الفاعل. والنعمة التي لا تُستثمر بالطريقة الصحيحة، قد تصبح وبالًا، وذلك من قبيل الأمطار التي هي من النعم الكبيرة على الإنسان، لكنّ هذه النعمة ـ في حال لم تُستثمر الاستثمار الصحيح ـ قد تصبح سيولًا ومستنقعات تجلب الأمراض، وتسبب الأضرار للكثير من المنازل.

إنَّ مرحلة الشباب بمقدار ما هي خصبة بالإيجابيات، قد تنمو فيها بوادر الانحراف والسلوكيات السلبية غير المقبولة، ما يساهم لاحقًا في

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٥٧.
(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص١١٤. والألباني: صحيح الترغيب، حديث ٣٣٥٥.

تدمير شريحة شبابية كبيرة ضمن مشاريع إجرامية.

لذلك، فإنّ المجتمع أمام خيارين، إما أن يحتضن هذه الفئة، بما يمكّنها من خدمته والنهوض بالأعباء الملقاة عليها، بحيث يمثّل المجتمع تلكم الحديقة التي تزدهر بأزهارها اليانعة، وتعطي ذلكم الرونق والمنظر الجميل الخلاّب، وإما أن يحاصر هذه الشريحة بمجموعة من الضغوط، بحيث لا يمكّنها من تفجير طاقاتها الإيجابية، أو أن يعزل نفسه عنها فيتجاهلها، لتكون وبالًا عليه لاحقًا، ويظلّ هذا المجتمع يعاني من ويلات الانفلات غير المنضبط من بعض فئات هذه الشريحة.

المجتمع يتحمّل مسؤولية كبيرة، في فسح المجال أمام الشباب والشابّات، وفي تشجيعهم على تحمّل المسؤوليات تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم ودينهم، وأن يعطيهم الثقة الكافية، حتى يستفيد من هذه الطاقات الكامنة لدى كل فردٍ منهم.

إذا كانت الفاعليات والأنشطة الاجتماعية لا تزال قليلة، ومحدودة الاهتمامات، بحيث لا تستطيع أن تستوعب هذه الشريحة الواسعة، فإنه لا يصحّ أن يتخلّى الشباب أنفسهم عن تحمّل المسؤولية، وذلك من خلال مبادرات جماعية، للقيام بأنشطة تُسهم في إنماء بعض الجوانب الاجتماعية التي لا يُنظر إليها بعين الاهتمام غير الملتفت إليها. والمجتمعات المتقدّمة مليئة بالمبادرات الفردية والجماعية من قبل شرائح الشباب، ويجب أن تبعث لمزيد من العطاء في مجتمعاتنا.

ولو تفرّغت في كلّ بلدة في المنطقة مجموعة شبابية، من أجل معالجة

بعض المشكلات الاجتماعية، لرفعنا الكثير من المعاناة وحالات العجز والعوز التي تعاني منها العديد من الأسر، فما أكثرها في كلّ بلدة، وما أحوجنا إلى تعدّد المشاريع والمؤسّسات من أجل النهوض بواقعنا إلى ما هو أفضل.

نداء إلى كلِّ شاب وشابة

وهي مناسبة أتوجّه فيها إلى كلّ شابّ وشابة من أبناء هذا المجتمع المعطاء، فهذا المجتمع هو مجتمعكم، وهذا وطنكم، وكما تتحمّلون المسؤولية تجاه أنفسكم، فهناك مسؤوليات تجاه محيطكم الذي هو بحاجة ماسّة إليكم اليوم. وما يجري في المجتمع يعنيكم، فينبغي أن تدفعكم الحمية لأن تتصدّوا لمعالجة ما تستطيعون المشاركة فيه، فقيادة المجتمع وحلّ مشكلاته ليست حكرًا على كبير أو وجيه أو عالم أو متنفّذ، إنها مسؤولية الجميع بلا استثناء، وعليكم أن تأخذوا مجالكم في هذا الاتجاه، أسوة بالمجتمعات المتقدّمة.

إنَّكم عندما تنكفئون عن العمل الاجتماعي يفقد المجتمع بأسره طاقاتكم. إنَّنا بحاجة إليكم في كلّ المواقع والساحات، فالمجتمع تنقصه الطاقات في شتّى المجالات والخدمات، فلو أن كلّ مجموعة تبنّت مشروعًا من المشروعات الاجتماعية، فإنَّ ذلك من شأنه أن يغطي ذلكم العجز والنقص، فلا تبخلوا على مجتمعكم بمبادراتكم الطيبة. إنكم ستلمسون بأنفسكم ما تزرعه أيديكم حاضرًا، ويبقى رصيدًا لكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وعلى الجهات الرسمية أن تفسح المجال للمبادرات الاجتماعية، ذلك أنَّ كثيرًا من دول العالم الإسلامي لا تزال القوانين والأنظمة الرسمية فيها تقف حائلًا أمام طموحات الشباب وتطلّعاتهم، فلا تعطي الفرصة لتنامي الحالة التطوعية في المجتمع، وفي بعض الأحيان تكون العوائق من القيّمين على تطبيق الأنظمة، فلا تزال العقلية المتحفّظة على أيّ مبادرة هي المسيطرة، ومن الصعب أن تجد كثير من المشروعات طريقها إلى النور، بسبب تعقيداتٍ وروتينٍ وظيفيٍّ قاتل، قد يكون الخللُ فيه بسبب ذلكم الموظّف أو ذلكم المسؤول.

في مثل هذه المرحلة التي تعيشها الأمة، لا يجب أن تسبقنا التقنيات والوسائل الحديثة ذات التوجهات المنحرفة بما تملكه من جاذبية إلى عقول وقلوب أبنائنا وبناتنا، علينا أن نبادر باحتضانهم، ودمجهم في المشروعات والمبادرات الاجتماعية، التي تجعل منهم عناصر فاعلة تتواصل مع قضايا وشؤون مجتمعهم، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «عليكم بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كلّ خير»[1].

(١) محمد الريشهري. أهل البيت في الكتاب والسنة، ص ٣٦١.

التصدّي للشأن العام بين التشجيع والتثبيط

شاءت الإرادة الإلهية أن يُناط بالإنسان القيام بدور الخلافة في الأرض. وقد حبا الله البشر بطاقات كبيرة تتجاوز حدودهم الذاتية، إلى الحدّ الذي يجعل الواحد منهم خليفة لربّ العالمين على هذه الأرض، كما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٠]. غير أنّ طبيعة الحياة وما يحيط بها من رغبات وما فيها من مغريات، تجتذب الإنسان للتمحور على ذاته، لا للحصول على احتياجاته الأساسية فقط، وإنّما للتوفر على سبل الرفاهية والكماليات، ليس هذا وحسب، وإنما يسعى في خطوة لاحقة نحو اكتناز الثروات ومضاعفتها، على نحو يكفي حاجته في هذه الحياة، ليس لمرة واحدة، وإنما لمئات المرات، وذلك لما في طبيعة الإنسان من حبّ المال، كما يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [سورة الفجر، الآية:٢٠] وتلك حالة عامة يشترك فيها أبناء البشر.

إنّ الإنسان بما حباه الله من قدرات هائلة، أكبر من أن يحصر انشغاله

بشؤونه الذاتية فقط، فإذا ما أدرك هذه الحقيقة، فإنَّه يبدأ بالانشغال بالشأن العام، وتحمّل المسؤولية العامة ضمن محيطه الاجتماعي.

المهتّمون بالشأن العام خير الناس

إنّ الاهتمام بالشأن العام يمثل ميزة خاصّة تميّز النخبة من الناس. فهذه النخبة هي التي تدرك أنّ طاقاتها أكبر من أن تُحصَر ضمن ذواتها الخاصة وحسب، وأنّ ما عندها من القدرات يؤهّلها للقيام بأدوار أكبر، على المستوى الاجتماعي.

من هنا جاءت النصوص الدينية لتصف هذه النخبة بأنهم خير الناس، ومردّ ذلك، أنهم فهموا أنفسهم على نحو أفضل من الآخرين، لجهة إدراك قدراتهم وطاقاتهم، وتميّزهم بروحية العطاء المصحوبة بحالة من القيمة المتجذرة في نفوسهم، ما يؤهّلهم إلى استحقاق ذلك الوسام الذي يجعلهم خير الناس. وفي ذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيرُ النّاسِ مَنِ انتَفَعَ بِهِ النّاسُ»[1]، إنّ من يعيش منحصرًا في حدود مصالحه الخاصة، فهو لا يصنف ضمن خير الناس، لجهله بقدراته الذاتية، بخلاف من يتجهون للعمل في الشأن العام، الذين هم أكثر فهماً لذواتهم، وأكثر تنمية لقدراتهم وطاقاتهم، وأبلغ تأثيرًا في المحيط الاجتماعي الذي يعيشون ضمنه.

كما ورد في السياق ذاته، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٣، حديث١.

أنه قال: «خَيرُ النّاسِ مَن تَحَمَّلَ مَؤونَةَ النّاسِ»[١]، وحيث إنّ المعتاد أن يتحمّل الفرد المسؤولية عن نفسه، بتلبية احتياجاته وتحقيق مصالحه، فإنّ تحمّل المسؤولية عن الآخرين عبر تلبية حاجاتهم وتحمّل همومهم، هو أمرٌ بالغ الأهمية، على النحو الذي يجعل المشتغل بذلك من خيرة الخلق وأفضلهم.

ميادين العمل في الشأن العام

ويتجلّى مفهوم الانخراط في الشأن العام وتحمّل مؤونة الآخرين على صُعُدٍ عديدة. فهناك على الصّعيد الديني مثلا، من يتوجه نحو الالتزام الديني والتقيّد بأوامر الدين في مختلف تعاملاته، فهو على هذا النحو من التديّن يبقى متحركًا ضمن دائرته الذاتية، في حين أن هناك متديّنًا آخرَ إلى جانب التزامه الشخصي يصبّ جلّ همّه في استقطاب الآخرين نحو الالتزام الديني، عندها ينطبق عليه مصداق من يحمل مؤونة الآخرين، وكذلك الحال على الصعيد المعرفي، فهناك من يسعى على المستوى الشخصي نحو تحصيل العلم وكسب المعرفة، لكنه يبقى حبيس ذاته وحسب، بخلاف ما إذا سعى نحو تعليم الآخرين، وإشاعة المعرفة والثقافة في صفوفهم، فإنه يكون قد تجاوز محوره الذاتي، إلى محيطه العام.

كما ينسحب الأمر على من يدأب في ترتيب شؤونه الحياتية، من المسكن والملبس والمأكل والمشرب والصحة والزواج، فهو يتحرّك

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٨، رقم٨٩.

ضمن دائرته الذاتية حصرًا، على العكس من الذي يصبّ اهتمامه على توفير هذه المستلزمات الأساسية لغيره من المحتاجين، فهو يتحرّك في صميم الشأن العام. وعلى هذا النحو ينطبق المفهوم على الشأن البيئي والسياسي والاجتماعي، فجميعها مجالات للاهتمام بالشأن العام.

هنا ينبغي ملاحظة أنّ الطريق إلى الانخراط في الشأن العام ليس مفروشًا بالورود والرياحين. ذلك أنّ من ينخرط في الشأن العام وخدمة الآخرين، فإنه يكون محلًا لتلقّي الأعباء، وبذل الجهود، وتقديم التضحيات، ناهيك عمّا يواجهه من مشاكل متوقعة؛ لما في الشأن العام من آراء متغايرة، واهتمامات مختلفة، ومنافسين آخرين. لذلك لا يُقبِلُ على الانخراط في الشأن العام إلّا القلة من الناس التي استحقت ذلك الوسام النبوي الذي يجعلها خير الناس، ناهيك عن الثواب الجزيل من الله عزّ وجلّ، ونماء الطاقات والقدرات، وحيازة ملكة التأثير والدور القيادي في المجتمع، كلّ ذلك لقاء الكلفة التي تحمّلوها في سبيل الآخرين.

المبادرات الفردية

هناك مسارات عدة للتصدّي للشأن العام وخدمة المجتمع. ومن أبرزها ثلاثة مسارات:

الأول: المسار الفردي، بأن يتوجه المرء بنفسه نحو القيام بالعمل العام، سواء كان بتقديم الخدمة للفقراء ومساعدة المحتاجين، أو نشر الثقافة والمعرفة، أو التصدّي لعمل اجتماعي أو سياسي معيّن، كلّ ذلك من منطلق فردي وبمبادرة شخصية، وهذه درجة من درجات الانخراط

في الشأن العام.

ومما يحضرني في هذا الشأن: أثناء سفري إلى مدينة مشهد في إيران، تعرّفت على تاجر سجّاد كان يسكن بجوارنا، وقد أطّلعنا على اهتمامه بالشأن الاجتماعي، وبمساعدة المحتاجين على وجه التحديد، وقد وضع له برنامجًا شهريًّا، خصّص خلاله يومًا واحدًا، أول جمعة من كلّ شهر، يملأ سيارة أو سيارتين بالمواد الغذائية، ويذهب إلى أطراف المدينة متفقدًا بيوت الفقراء والمحتاجين المسجّلين عنده ضمن قوائم معدّة سلفًا، لتقديم المعونة لهم مباشرة.

وقد سألته ما إذا كانت هذه المعونات كلّها من عنده، فأجاب بالنفي، مؤكّدًا بأنّها معونات من عنده ومن مجموعة من التجار من أصدقائه، الذين يعلمون عن برنامجه الشهري هذا، ويثقون به، ويعتمدون عليه، في هذا السبيل. وبمعيّة عدد من أقربائه كان الرجل يوصل بنفسه المعونات الشهرية إلى ما بين مئتين وأربعمئة عائلة فقيرة. وفي كلّ يوم جمعة يمرّ على أربعين أو خمسين من بيوت الفقراء، لجمع فواتير الخدمات المتوجب دفعها عليهم، من ماء وكهرباء وهاتف، فيقوم بسداد ما يستطيع سداده، والطلب من زملائه التجار سداد ما تيسر منها، على نحوٍ لا يأتي يوم الجمعة التالية وإلّا وقد سدّد الفواتير بأكملها. وهذا نوع من الانخراط الفردي في الشأن العام، الذي يستطيع كثيرون القيام به دون أيّ قيود.

العمل الجمعي

أما المسار الثاني فهو المسار الجمعي، أو ما يُطلق عليه بالمؤسّسات

الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني. الذي يلتئم ضمن جمعيات خيرية، أو لجان عاملة في أيّ مجالٍ من المجالات، كحقوق الإنسان أو حماية البيئة، أو مساعدة الفقراء، أو نشر الثقافة والمعرفة. وهذا المسار الثاني متقدّم على المسار الفردي؛ لأنّ العمل الجمعي أكثر بركة واستدامة وتنظيمًا من العمل الفردي.

المؤسسات الرسمية

وهناك مسار ثالث للتصدّي للشأن العام ويتمثّل في الانخراط ضمن المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية. فقوام عمل البرلمان مثلًا، هو الاهتمام بالشأن العام؛ لكون أعضائه ممثِّلين عن للشعب ومعبّرين عن آراء ومطالب الناخبين. وكذلك الحال مع المجالس البلدية، ومجالس الأحياء، والجمعيات الخيرية، والنوادي الرياضية، فهذه بأجمعها مؤسسات رسمية أو شبه رسمية. والمشاركة ضمن أعمالها درجة متقدّمة من درجات الاهتمام بالشأن العام.

بيئة مشجعة وأخرى مثبِّطة

تتفاوت المجتمعات حيال مسألة انخراط أبنائها في الشأن العام. فهناك مجتمعات تتوفر فيها بيئة دافعة للنشاط العام، في مقابل مجتمعات أخرى تسود فيها حالة التثبيط والإحباط، ويمكن الوقوف على معيار الدافعية والتثبيط في أيّ مجتمع من خلال تلمّس حالة التفاعل مع المنخرطين في الشأن العام.

فهناك مجتمع يشدّ على يد العاملين في الشأن العام من أبنائه، ويقدّم

لهم التشجيع والشكر على جهودهم، وهناك مجتمع آخر يواجههم بحالة من التشكيك والتثبيط، وقد يرشقهم بمختلف التّهم والافتراءات.

ومردّ ذلك في بعض الأحيان إلى رفع سقف التوقعات من عمل المنخرطين في الشأن العام، فهم يترقبون أن يحقق لهم العامل في الشأن العام كلّ متطلباتهم، وأن يحلّ جميع مشاكلهم، وهذا أمر خارج عن قدرة كلّ أحد، فما على الإنسان إلّا أن يبذل أقصى جهوده، لكن ليس بيده ضمان التوفيق المطلق في كلّ عمل، فلربما كانت هناك في مواجهته عقبات وعوائق خارجية لا يستطيع تجاوزها. وعدم مقدرة المنخرطين في الشّأن العام على تحقيق كامل الأهداف المتوخاة منهم، لا يُعَدّ مبررًا كافيًا لمواجهتهم بالتثبيط، كما لا يبرر ـ في الوقت عينه ـ الإحجام عن التصدّي للشأن العام.

ويمكن أن يقول قائل إنّ المتصدّين للشأن العام لديهم أخطاء، ويعانون من نقاط ضعف، وتشوب أعمالهم الثغرات، ولم يحسنوا التصرف في بعض الأعمال، وكلّ ذلك قد يكون صحيحًا بدرجة أو أخرى، حيث لم يَدَّعِ أحدٌ بأن العاملين في الشأن العام معصومون من الخطأ، وإنما هم بشر قد ينجحون هنا ويخطئون هناك.

إنّ التصرف الأمثل حيال عمل المنخرطين في الشأن العام، هو أن يدعمهم المجتمع بالتشجيع حال النجاح، وأن يرفدهم بالنقد الإيجابي حال الفشل، ففي تلك الحالتين تكمن المساعدة الحقيقية لهم.

إنّ من المؤسف جدًّا، أن تواجه بعض المجتمعات أبناءها العاملين

في الشأن العام بحالة من التثبيط والتسقيط وتحميلهم أكثر مما يطيقون، على نحوٍ قد يجعل بعض هؤلاء العاملين يصابون بردة فعل ويأسفون على كلّ دقيقة صرفوها في خدمة المجتمع، ولربما نأوا تمامًا عن الانخراط مستقبلًا في الشأن العام.

انتخابات المجالس البلدية

فمثلا الانتخابات البلدية في مجتمعنا المحلي، ينبغي الإشارة إلى أنّ عضو المجلس البلدي محكوم بصلاحيات مقيدة، وسقف محدّد، ليس بيده أن يتجاوزه، وتبعًا لذلك لا ينبغي أن يرفع المجتمع سقف التوقعات عاليًا. حيث تقتصر صلاحيات أعضاء المجلس البلدي، ضمن أطُرِ التخطيط والرقابة وتقديم المشاريع، مع افتقادهم لأيّ سلطة تنفيذية، فإذا ما برز منهم التقصير ضمن الصلاحيات الممنوحة لهم، فإنّ من واجب المجتمع أن ينقدهم نقدًا بنّاءً، وأن يدعمهم ويساعدهم في مهمتهم.

وينسحب هذا الأمر أيضًا على العاملين في الشأن السّياسي المحلي، من وجهاء وشخصيات اجتماعية، الذين يُواجَهُون اجتماعيًّا بشيءٍ من السلبية في أحايين كثيرة، إلى الحدّ الذي قد يجعلهم ينأون بأنفسهم عن التصدّي لقضايا الشأن العام، إذ إنّهم في الوقت الذي يبذلون فيه التضحيات والجهود الكبيرة، فهم يُقَابَلون من جهة أخرى بما يُشبه الجحود والتنكر لجهودهم.

إنّ من المهم جدًّا أن تسود المجتمع أجواء إيجابية حيال العاملين في الشأن العام أفرادًا أو جماعات. ومع أنّ المفروض أنّ غرض العاملين

الأساس من انخراطهم في الشأن العام، هو السعي نحو تحصيل الثواب من الله تعالى، وشعارهم الآية الكريمة ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية:٩]، لكن ينبغي أن نضع بالاعتبار أنهم بشر، يدفعهم التشجيع من جهة، كما يتأثرون بعوامل التثبيط من جهة أخرى. لذلك ينبغي أن يتحلى المجتمع بالإيجابية تجاه من يتصدّى للشأن العام. وعلى أيّ شخصٍ يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على الانخراط في الشأن العام، ألّا يتردّد في الإقدام، سواء على مستوى الجمعية الخيرية، أو النادي الرياضي، أو المجلس البلدي، أو أيّ مجال آخر؛ لأنّ العمل في الشأن العام، يعود على الإنسان بالنفع في الدنيا والآخرة.

وينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار أنّ الانتخابات البلدية تمثّل تجربة وخطوة في طريق بناء الوعي السياسي في المجتمعات. ويعود ذلك إلى جملة أسباب، من أهمهما أنّها تربي الناس على ثقافة الانتخاب، إذ لم تصل المجتمعات الديمقراطية إلى ما هي عليه اليوم بين عشية وضحاها، وإنمَّا استغرق ذلك منها زمنٌ طويلٌ حتى بلغت درجة النضج. ومجتمعاتنا لا تزال ناشئة على هذا الصّعيد، وهذا ما يتطلب السعي نحو تكريس الممارسة الانتخابية لدى المجتمع، فعن هذا الطريق يتسنّى استيعاب العملية الانتخابية بمختلف مراحلها بدءًا من الترشح للانتخابات، والعمل على كسب الأصوات، ومن ثَمَّ الاحتكام إلى صناديق الاقتراع، فهذه بأجمعها تمثّل ثقافة سياسية ينبغي أن تنمو وتتسع في نطاق المجتمع.

ينبغي أن تستفيد مجتمعاتنا من الفرص التي تساهم في تحسين أوضاعها، حتى وإن كانت درجة التحسن المتوقعة متواضعة، فليس ذلك

مبررًا لأنْ نزهد فيها. حيث إنّ هناك فوائد بدرجة أو أخرى ضمن أيّ عملية انتخابية. إذ إنّ وجود مجلس يشرف ويراقب ويحاسب ضمن أيّ مؤسسة من المؤسسات، فذلك أفضل بكثير من عدم وجوده، ومن واجبنا أن نستفيد من هذا المجلس إلى أقصى حدٍّ ممكن.

من هنا ندعو أبناء مجتمعنا إلى أن يكونوا إيجابيين تجاه العاملين في الشأن العام، وألّا يرفعوا سقف توقّعاتهم بما يتجاوز الإمكانات والصلاحيات المتاحة لهؤلاء العاملين، وأن يحرصوا على اختيار المرشحين الجيّدين، الذين يمثّلون نواة لقيادات يعوّل عليها المجتمع، ضمن انتخابات المجالس البلدية، أو إدارة الجمعيات الخيرية، أو إدارة الأندية الرياضية، أو المؤسسات المشابهة.

العمل الاجتماعي بين التنظير والتصدي

لا يستغني العمل الاجتماعي عن جهود التفكير والتنظير، فلا بُدّ من وجود منظّرين ومفكّرين ومثقفين، يرصدون واقع المجتمع، ويحلّلون أوضاعه، ويدرسون نقاط القوة والضعف فيه، ويضعون البرامج، ويقترحون المشاريع لمعالجة مشاكله، وتحقيق تطوّره وتقدمه، فالعمل الاجتماعي لا ينبغي أن يسير على أساس الارتجالية والمزاجية والعفوية، بل يفترض أن يعتمد نهج التخطيط العلمي، وأن يستفيد من تطور النظريات والأبحاث الاجتماعية، وأن ترفده آراء المفكرين والمثقفين.

لقد درجت مجتمعاتنا المحلية على القيام بالأعمال التطوعية في حالة من الاسترسال غير المخطَّط، فيما قطعت المجتمعات المتقدّمة أشواطًا بعيدة في مجال التخطيط ودراسة المشاريع، بل أصبح العمل الاجتماعي عِلْمًا له مدارسه، وهناك تجارب في العمل الاجتماعي لا بُدّ من دراستها والاستفادة منها.

في مجتمعنا مؤسسات ونشاطات اجتماعية فاعلة، من جمعيات

خيرية وأندية رياضية، ولجان تنموية، وكيانات وفاعليات دينية وأدبية وثقافية، هذا الحراك الاجتماعي ينبغي أن يرفد بالتنظير والآراء، فمجتمعنا يزخر بالكفاءات الأكاديمية العلمية والثقافية، فقد أظهر مسح ديموغرافي أجرته هيئة الإحصاء السعودية أنّ إجمالي عدد السعوديين الذين يحملون درجة التخصص الجامعي العليا «الدكتوراه» في العام ٢٠١٦، بلغ ٤٤ ألفًا و٧٩٢ متخصصًا، ووفقًا للمسح، بلغ عدد الحاصلين على شهادة «الماجستير» ١٥٢ ألفًا و٤٧٢ متعلمًا، وحصل ٣٥ ألفًا و٧٤٩ متعلمًا على درجة «الدبلوم العالي»، فيما بلغ عدد حاملي الشهادة الجامعية مليونين و٨١٢ ألفًا و٩١١ جامعيًّا، ومُنحت درجة الدبلوم دون الجامعي إلى ٧٢٥ ألفًا و٣٣٣ متعلمًا[١].

ووفق الموقع الإلكتروني لوزارة التعليم، بلغ إجمالي عدد الجامعات في السعودية لعام ١٤٣٧/١٤٣٨هـ ٢٨ جامعة حكومية، و٣٠ جامعة أهلية وخاصة، بإجمالي ٥٨ جامعة، بالإضافة إلى ما يقارب ١٦ كلية حكومية وخاصة وأهلية وعسكرية.

المؤسسات الاجتماعية والانفتاح على الكفاءات

وهنا يجب التأمل في مدى التفاعل والتواصل بين هذه الكفاءات وبين واقع العمل الاجتماعي، ما مقدار التفاعل بين الأكاديميين في مجتمعنا، وبين واقع العمل الاجتماعي وبرامجه القائمة؟

في مختلف التخصصات، هناك عدد كبير من الأكاديميين وحَمَلَةِ

(١) جريدة الحياة ٥ نوفمبر ٢٠١٦. http://www.alhayat.com/article/786792

الشهادات والمثقفين وذوي الرأي، وعلماء الدين، وباحثين وكتاب لهم مؤلفات وكتابات منشورة.

لكن نسبة استفادة العمل الاجتماعي من الكفاءات الأكاديمية والثقافية لا تزال محدودة، فقلَّما تجد هذه الكفاءات في إدارات ولجان الجمعيات الخيرية والأندية الرياضية والبرامج الدينية.

بكلّ تأكيد هناك عناصر مشاركة وفاعلة، لها جهود مشكورة، لكنها محدودة، وهذا ما ينبغي التوقف عنده!

على مؤسساتنا الاجتماعية أن تسعى للاستفادة من هذه الكفاءات، بطلب المشورة وأخذ الآراء المقترحة، والدعوة للمشاركة.

قد يرى البعض أنّ صاحب الكفاءة العلمية أو الأستاذ الجامعي لا يتمكّن من المشاركة العملية في البرامج التطوعية، فلا فائدة من دعوته!

لكن الرؤية العلمية للعمل التطوعي تحتاج إلى كفاءات أكاديمية، تسهم في تطوير العمل وفق دراسة وتخطيط، وكما قال الشاعر: (الرأي قبل شجاعة الشجعان).

إذا لم يأتِ من صاحب الكفاءة العلمية جهد عملي عضلي، فإنه قد يقدّم رأيًا أو برنامجًا أو نظرية، تساعد في ترشيد العمل وترسيخه وتقدّمه، ومعالجة ما يعتوره من مشاكل، من هنا ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لكميل بن زياد: «يا كُمَيلُ، ما مِن حَرَكَةٍ إلّا وأنتَ مُحتاجٌ فيها إلى مَعرِفَةٍ»[1].

(١) تحف العقول. ص١٧١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الْعَامِلُ عَلى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاَّ بُعْداً»(١). وعنه عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ عَمِلَ عَلى غَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»(٢).

هذه النصوص تؤكّد على أهمية المعرفة والفكر في ميادين العمل، وفِي طليعتها العمل الاجتماعي، لذلك على مؤسسات العمل الاجتماعي أن تنفتح على الأكاديميين وأصحاب الكفاءات والمثقفين وذوي الرأي.

وقد لا تتفق المؤسسة التطوعية مع كلّ ما يقدمه صاحب الرأي، لكنّ ذلك لا يمنع من الاستماع والتشاور والمناقشة، للوصول إلى أفضل الآراء، كما يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، الآية:١٨].

الأكاديميون والعمل الاجتماعي

قد تكون لدى الأكاديميين والمثقفين ملاحظات وانتقادات على العمل الاجتماعي، فربما يرى الأكاديمي أنّ بعض الأنشطة الاجتماعية لا تعتمد المنهج العلمي، أو أنّ المتصدّين للعمل يعوزهم النضج العلمي والمعرفي، ومن حقّ صاحب الرأي أنّ يبدي ملاحظاته، فهو حقّ مكفول للجميع، لكن ماذا تفيد هذه الملاحظات والمثقف يعيش في برج عاجي، بعيدًا عن مجتمعه؟!

عليه أن ينزل إلى الساحة، ويقترب من العاملين، ويطرح عليهم

(١) الكافي. ج١، ص ٤٣، حديث ١.
(٢) الكافي. ج١، ص٤٤، حديث ٣.

وجهات نظره، ويرفع معنوياتهم بمشاركته، ومن خلال ذلك يمكننا معالجة نقاط الضعف في العمل الاجتماعي، فلا تتم المعالجة بانتقادها من بعد.

كما أنّ الأفكار تصبح أكثر نضجًا من خلال الممارسة والتطبيق العملي، فالعمل له معادلاته وظروفه التي تختبر واقعية الأفكار، وهو ما يطبق من الناحية العملية، حيث تتاح للنظريات العلمية فرصة للاختبار والتجربة، وتسجل عليها الملاحظات، فهذه الفكرة التي يحملها الأكاديمي أو المثقف قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ، وقد تحمل بعض الثغرات، ولا يمكن تبيّن ذلك إلا من خلال التطبيق العملي، من هنا لا بُدّ من اقتراب الأكاديمي من أبناء مجتمعه، وهو ما يعود عليه بالفائدة، فالعمل الاجتماعي له انعكاسات إيجابية على المشارك، سواء من الناحية العلمية أو النفسية أو الاجتماعية.

بالطبع هناك من تمنعه التزاماته الوظيفية من المشاركة، لضيق وقته، وهو في الواقع يقوم بدوره في خدمة المجتمع والوطن، كبعض الباحثين وأساتذة الجامعات، حيث تأخذ الوظيفة منه جلّ وقته.

المساهمة في معالجة المشاكل

كلّ مجتمع يعيش مشاكله الخاصة، سواء في المجال الصحي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وصاحب الكفاءة العلمية حينما يقترب من مجتمعه ويتلمس حاجاته، يتمكنّ من المساهمة في حلّ مشاكل الناس، فيستفيد علميًّا وعمليًّا، ويستثمر كفاءته في إيجاد حلول لهذه المشاكل.

لذلك أوجّه الدعوة لكلّ أبنائنا الأعزاء الذين نفخر بهم من الأكاديميين والمثقفين للمشاركة الاجتماعية، فهم رصيد ضخم، ومكسب كبير في مجتمعنا، نأمل منهم أن ينزلوا إلى ساحة العمل الاجتماعي، ويشاركوا في الأعمال التطوعية بالمقدار الممكن المتاح لهم، مما يعطي الفرصة لإنضاج العمل الاجتماعي، حيث يتم تلاقح الرأي والعمل في المجتمع، وهذا ما تشير إليه وتؤكد عليه النصوص الدينية.

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ما زَكا العِلمُ بِمِثلِ العَمَلِ بِهِ»[١].

(زكا العلم) إما من النمو، أي ينمو ويزيد، وإما من التصفية أي ينضج ويتبلور.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ؛ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ»[٢]، فمن خلال العمل تبرز الملاحظات ويصار إلى التطوير.

وقال الإمام علي عليه السلام فيما روي عنه: «أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ»[٣].

(أَوْضَعُ الْعِلْمِ) أي أدنى العلم، المستوى القليل الضعيف، (مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ) حيث يكون الانتقاد المجرد ديدن بعض الناس، يتحدّثون في المجالس منتقدين العمل والعاملين، دون أن يكون لهم دور أو

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٨٣، رقم ١٧٣.
(٢) الكافي. ج١، ص٤٤، حديث ٢.
(٣) نهج البلاغة، حكمة ٨٦.

تفاعل حقيقي!

(وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ) أي إنّ العلم يتحول إلى ممارسة عملية وتجربة فعلية.

نرجو أن يوفق مجتمعنا للاستفادة من كلّ الطاقات والكفاءات من أبنائه، ونرجو أن يتوفق أصحاب الكفاءات الفكرية والثقافية للمشاركة مع أبناء مجتمعهم في أعمالهم التطوعية والأهلية، مع الشكر والتقدير لكلّ الجهود المبذولة من قبل كلّ الشرائح والجهات، لكننا نطمح إلى تفاعل أكبر وأوسع، نأمل من الأكاديميين أن يكونوا في طليعة العاملين في هذه المؤسسات ومجالس إدارتها، سواء في الجمعيات الخيرية أو الأندية واللجان المختلفة الموجودة في المجتمع.

دوافع الإنـجاز والتميّز

إنَّ التميز والانجاز لا يأتي عن طريق الصدفة، ولا بضربة حظ. ذلك أنه من بين ملايين البشر الذين عاشوا حياة عادية على كوكبنا، ثم رحلوا عن هذه الحياة، دون أن يتركوا خلفهم بصمة أو تغييراً، برزت قلّة من الأفراد في كلِّ عصر، ممن تميّزوا بفاعليتهم وإنجازهم، وغيّروا وجه مجتمعاتهم، بل العالم أجمع، ونقلوا البشرية إلى واقع جديد مختلف، فأصبحت الحياة من بعدهم مختلفة عما قبلهم.

وتنوّعت هذه القلّة المتميّزة من الناس، فكان من بينهم الأنبياء، والقادة الدينيون، والمصلحون الذين عملوا طويلًا في مختلف الأزمنة والعصور على سيادة القيم والمبادئ، وتغيير واقع الضلال والفساد، والانحراف الأخلاقي في مجتمعاتهم، وأبرزهم وأعظمهم نبيّنا محمد ﷺ، الذي دشَّن عصرًا جديدًا للبشرية.

كما أن هناك القادة السياسيين الإصلاحيين الذين نقلوا أوضاع أممهم إلى واقع أفضل، تحققت فيه قيم العدالة والحرية والتقدم.

وعلى المنوال ذاته كان هناك رواد العلم والمعرفة، الذين برعوا في اكتشافاتهم واختراعاتهم، فغيّروا وجه العالم، ليتسنّى للبشرية بعدهم أن ترى المصباح الكهربائي، وغزو الفضاء، وتطوير تكنولوجيا الحاسب الآلي، والإنترنت، وتكنولوجيا الاتصالات، حيث غيّر جميع ذلك واقع البشرية، فأصبح العالم يعيش وضعًا جديدًا غير الذي كان عليه من قبل، في آلاف السنين الماضية.

والحقيقة التي لا يجب أن تغيب عن بالنا هنا؛ هي أن هناك مبدعين ومتميزين وناشطين في الميادين المختلفة، يقفون خلف هذا التقدم الهائل، وهذه العقول المبدعة لم تأتِ جرّاء الصدفة المحضة.

إنَّ بروز الطاقات المبدعة والمتميزة هو ثمرة طبيعية للجدّ والاجتهاد. فليس هناك من اختلاف خَلْقِي أو تكويني لدى رواد الإبداع والتأثير عن سائر البشر، وإنما حباهم الله تعالى بذات النعم التي أعطاها لكل إنسان في هذه الحياة، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٧٨].

لا وجود للصدفة ولا لضربة الحظ في صناعة التميّز والإبداع، فقد جعل الله سننًا كونية تحكم الحياة، ففي القرآن الكريم خمس عشرة آية تتحدث عن السنن الإلهية الجارية في المجتمعات البشرية، ومنها الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٧]، والآية الكريمة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [سورة الفتح:

الآية ٢٣]، والآية الكريمة: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٨]. فالمسألة ليست تميزًا تكوينيًا ولا ضربة حظ أو صدفة، وإنما هي جدّ واجتهاد يدفع بالإنسان إلى آفاق أرحب، وبلوغ مستويات متقدمة في التميز والإبداع.

وللتعرّف على أهم دوافع الإنجاز والتميز الذي قدمته القلة المتميزة من أبناء البشر، يمكن الإشارة إلى ما يلي:

وعي الإنسان بأهمية وجوده

إنّ وعي الإنسان بأهمية وجوده في هذه الحياة يشكّل أول وأهم دوافع السعي نحو التميز والإبداع. فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان ليأكل ويشرب وينام، كما يقول الشاعر:

إنما الدنيا شراب وطعام ومنام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

على النقيض من ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١١٥]. فالإنسان الذي يعي مهمة وجوده في هذه الحياة يعيش حياة مختلفة ومتقدمة على الآخر الذي لا يعي هدف وجوده. يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك: الآية ٢]، هذه الآية دعوة للإنسان للإنجاز والتميز والإبداع.

وانطلاقًا من آي الذكر الحكيم نجد أن مهمة الإنسان في هذه الدنيا هي عمارة الأرض، إذ يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: الآية ٦١] أي طلب منكم عمارتها،، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا

أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان: الآية ٢٠]، فالكون كله مسخر لكل إنسان، وفي السياق نفسه يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا،، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا»[1]. نستطيع القول هنا بأن كل المبدعين والمتميزين الذين مروا على هذا العالم كانوا ملتفتين إلى هذا الأمر، ولا يعني ذلك بالضرورة أنهم كانوا قارئين لآيات القرآن الكريم، لكن من المؤكد بأنّ فطرتهم السليمة وعقلهم السوي هداهم لهذه الحقيقة، وذلك بخلاف أولئك الذين يكتفون بالعيش دون هدف سوى طلب الدَّعة والراحة. فالمنجزون هم الذين يعون مهمتهم في هذه الحياة، وهي تلك المتمثلة في عمارة الأرض واستثمار خيرات الكون.

معرفة القدرات الذاتية

يكمن الدافع الثاني للإنجاز والتميز في تشخيص ومعرفة القدرات الذاتية. فالأشخاص ذوو الإنجازات الضخمة هم أولئك الذين يكتشفون ما منحهم الله من طاقات وقدرات، ويمكن القول هنا إنّ المرء مهما حاول استكشاف قدراته فإنه يبقى قاصرًا عن اكتشاف جميع قدراته وطاقاته الكامنة، ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة في الآية الكريمة: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[سورة لقمان: الآية:٢٠]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل: الآية ١٨]. ويبقى الإنسان مدعوًا باستمرار لاستكشاف قدراته؛ لأنها تبقى الدافع الرئيس للإبداع والتميز.

---

(١) نهج البلاغة. كتاب ٤٥.

البيئة المشجِّعة

تمتاز المجتمعات المتقدمة بتوفير البيئة المشجعة على الإنجاز. وتنبع عناصر التشجيع من العائلة أولًا، بأن تربّي أبناءها على الطموح للإنجاز والإبداع، ويأتي بعدها دور مناهج التعليم، وأخيرًا دور المجتمع الذي يشجع المنتجين والعاملين.

نرى بحمد الله في مجتمعاتنا شبابًا يختزنون الكثير من الطاقات والقدرات، لكن ما ينبغي أن يهتموا به هو التوجه لاستكشاف طاقاتهم وقدراتهم، وعلى المجتمع أن يشجعهم في سعيهم هذا.

حسنًا فعل الإخوة الأعزاء حين أسّسوا مسابقة (جائزة القطيف للإنجاز). فهي مبادرة طيبة رائعة، جزى الله من ابتكرها وأسسها خير الجزاء، وللجائزة لجنة وهيئة منتظمة ولجان تحكيم، وتطلب هذه الجائزة من كل شاب في المحافظة، من كلا الجنسين إن كان لديه إنجاز وإبداع في مجال من المجالات، أن يرشّح نفسه في فرع من فروع الجائزة، وتعطى للفائز جائزة تقديرية بقيمة عشرة آلاف ريال، وهذا المبلغ وإن كان قليلًا، لكن ينبغي النظر للمعنى والمضمون الذي يقف خلف هذه الجائزة، وهو التقدير والإشادة بالكفاءة.

ومثل هذه الجائزة والمبادرات المشابهة هي ما نعوّل عليه، وما يمكن أن يصنع بيئة مشجعة للإنجاز، ومحفزة على النمو والتطور.

إنّ قوة المجتمع في بناء طاقاته وكفاءته، وخاصة في هذا العصر، وهي التي تصنع المستقبل، وتصنع التقدير للمجتمع.

وقد يرى البعض بأن وجود المشاكل تمنع المجتمع من التقدم، لكن الأمر على العكس من ذلك تمامًا، فالتحديات والعراقيل التي توضع أمام المجتمعات، هي التي ينبغي أن تكون دافعًا للإنجاز والتقدم، تمامًا كما حصل عند اليابانيين والألمان، ومختلف الشعوب، فلا يصح أبدًا أن نتعلّل بالمشاكل والتحديات، وإنما ينبغي أن نتخذها دافعًا وسلّمًا للتقدم وصنع الكفاءات والقدرات وتنمية المواهب. وكم يفرحنا رؤية أبنائنا يحرزون التقدم في مختلف المجالات، من الفنون والثقافة، والعلم والمعرفة، والعمل التطوعي.

الفصل الثالث

قضايا وآفاق

التطوع بالوقت

الوقت هو أعظم ثروة بيد الإنسان، من خلاله يمكن كسب سائر الثروات، وتعويض ما يضيع منها، لكن أيّ شيءٍ آخر لا يسترجع للإنسان ما ضاع من وقته، إنّه الحياة والعمر، وهو رصيد محدود لا يعود ما ذهب منه.

ومن الطبيعي أن يوظّف الإنسان وقته لخدمة مصالحه، وتسيير شؤون حياته، ولتحقيق تطلّعاته ورغباته، لكن عليه أن يخصّص جزءاً من وقته لخدمة الآخرين، ومساعدتهم في قضاء حوائجهم. فكما يُطْلَب من الإنسان أن ينفق من ماله في سبيل الله ومساعدة الآخرين، فإنه مطلوب منه أن ينفق من وقته كذلك، وحين يقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٣] فإنّ الوقت هو أعظم رزق يمنحه الله تعالى للإنسان، وعليه أن ينفق منه.

إنّ التطوع بالوقت أصبح مصطلحًا وعنوانًا عالميًّا، لحراك إنساني في مختلف شعوب العالم، فهناك ملايين المتطوعين بجزء من أوقاتهم ضمن

مختلف المنظمات الخيرية الإنسانية، إلى جانب من يتطوعون ويتبرّعون بجزء من أموالهم وثرواتهم.

وعلى سبيل المثال، فإنّ منظمة أطباء بلا حدود، التي تأسّست عام ١٩٧١م بهدف تقديم المساعدات الطبية على مستوى العالم، ينضمّ إليها كلّ عام أكثر من ثلاثة آلاف شخص مستعدّ للتطوع بجزء من وقته سنويًّا للعمل ضمن برامج المنظمة، من بينهم أطباء وممرضات ومهندسو الصحة والمياه وإداريون، إضافة إلى خمسة عشر ألف شخص يتم تشغيلهم من المناطق التي تعمل فيها المنظمة لتقديم المساعدة الطبية، وتشمل أكثر من ٨٠ دولة في العالم.

ويأتي الشعب الأمريكي في مقدّمة الشعوب التي يتزايد الإقبال فيها على التطوع بالوقت، لخدمة الحاجات الإنسانية في مجتمعاتهم المحلّية، حيث تشير التقارير إلى أنّ عدد المتطوعين في عام ٢٠٠٩م بلغ ٦٣,٤ مليون أمريكي، صرفوا من أوقاتهم في مجال العمل التطوعي ٨,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ساعة، قدرت قيمتها بمبلغ ١٦٩ مليار دولار.

وقد ظهرت في بلادنا مؤخّرًا بعض البرامج التطوعية على هذا الصّعيد، حيث بادر بعض الأطباء لتخصيص أيام أو ساعات محدودة يبذلون فيها العلاج للمرضى، دون مقابل، ضمن إطار جمعيات ومؤسّسات خيرية، كجمعية زمزم في مكة المكرمة، وبرنامج يُسْر التطوعي، والجمعية السعودية للسرطان، وجمعية الرحمة الطبية الخيرية بالدمام.

وما أحوج مجتمعنا إلى تفعيل مثل هذه البرامج، فهناك كثافة سكانية، وأمراض منتشرة، ومرضى قد لا تتوفّر لهم إمكانية العلاج، أو لا تتيسّر

لهم في الوقت المناسب، وهناك من يحتاج إلى الرأي والمشورة الطبية، وإلى تذليل العقبات أمامهم لتلقي العلاج المطلوب، وهذا ما تساعد البرامج التطوعية على تحقيقه.

إنّ في مجتمعنا كفاءاتٍ طبيةً كثيرةً، تحتل مواقعَ جيّدةً في مختلف المستشفيات والمؤسسات الصحية على مستوى الوطن، وتقدّم أداءً مشكورًا من خلال عملها الوظيفي، لكنّنا نأمل منها تخصيص جزءٍ من الوقت، لتقديم خدمة تطوعية خارج العمل الوظيفي، وقد سمعت عن بعض المبادرات الفردية على هذا الصّعيد، لكنها محدودة جدًّا، ولو تشكل إطار مؤسّسي لمثل هذا البرنامج، فإنّه سيشجّع هذه المبادرات الخيّرة.

وكما في المجال الطبي يمكن أن يكون ذلك في المجالات الأخرى، كالمجال المعرفي والعلمي مثلًا. ويمكن الاستشهاد بالدور الذي تقوم به الأستاذة الفاضلة غالية المحروس، حيث تقيم دورات مجانية لتعليم اللغة الإنجليزية للنساء...

وقف الوقت

وإذا كان الإنسان حرًّا مختارًا في التبرع بوقته ساعة يشاء وفي أيّ مجال أراد، ولا أحد يحقّ له أن يجبره أو يلزمه بحدود الوقت الذي يتبرع به، أو تحديد مجال صرف تبرعه بوقته، فهل يمكن إيجاد صيغة شرعية يلزم بها الإنسان نفسه للتبرع بالوقت بشكل دائم، بحيث يخرج ذلك الوقت المتبرِّع به عن سلطته وتصرّفه لصالح الجهة التي حُدِّدَ لها، بحيث يكون ذلك الوقت محبوسًا وموقوفًا على تلك الجهة، تمامًا كما

هو حال وقف الأعيان المالية، التي يحبّس أصلها، وتسبّل منفعتها، ضمن مصطلح الوقف الشرعي بشروطه وضوابطه؟

هذا الموضوع الذي يطلق عليه وقف الوقت موضوع جديد مستحدَث، لم يكن مطروحًا على الصّعيد الفقهي سابقًا، لكن تطور مسار العمل التطوعي الخيري أثار هذا الطرح، بحيث يكون ذلك الوقت الموقوف خارج ملك الإنسان الواقف وتصرفه، فلا يعود له حقّ التراجع عن بذله أو التصرف فيه لغير الجهة التي وُقِف لها.

ويعتبر مفهوم وقف الوقت من المفاهيم الجديدة التي استُحدثت في السنوات القليلة الماضية، وكانت الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت لها قصب السبق في طرح هذا المفهوم، منذ بداية عام ١٩٩٨م.

ولقد تمت ترجمته عمليًّا حتى بات أحد المشاريع الوقفية التي تتبع إدارة المشاريع بالأمانة العامة للأوقاف بالكويت، وأصبح للمشروع أوقاف خاصة يصرف ريعها على أغراضه.

كما استفادت المغرب من هذه التجربة واعتمدتها، قال الكاتب العام للمجلس الأعلى لمراقبة مالية الأوقاف بالرباط، عبد الرزاق اصبيحي، وهو يعلن عن إطلاق أول مبادرة لوقف الوقت بالمغرب: «إنّ أيّ شخص له خبرة أو كفاءة في أيّ مجال من المجالات، يمكنه أن يخصّص جزءًا من وقته، ويسخّره لخدمة مؤسّسة خيرية أو غيرها، بحيث يجعل نفسه في ذلك الوقت محبسًا رهن إشارة تلك المؤسّسة، وملتزمًا مع الله ثم مع المؤسّسة بأنْ يقدّم تلك الخدمات».

معتبرًا أنّ وقف الوقت هو شكل مبدع وسهل وراقٍ، في تسخير ما حبا الله به الإنسان من خيرات وكفاءات في خدمة المجتمع.

وقد شاركتُ في ملتقى للوقف الجعفري بالكويت، بتاريخ ٥-٧ مارس٢٠١٧م برعاية أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لمدة ثلاثة أيام، حضره وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ناصر الجبري ممثلًا لسمو الأمير وألقى كلمة. وخُصّص الملتقى لبحث موضوع وقف الوقت.

وشارك في الملتقى عدد من العلماء والباحثين من الكويت والقطيف والأحساء ومسقط والعراق ولبنان وإيران والهند وجنوب أفريقيا. وناقش العلماء والباحثون إمكانية وضع صيغة شرعية لوقف الوقت، ذلك أنّ الفقهاء يشترطون في الموقوف أن يكون عينًا خارجية، وأن تكون مملوكة أو بحكمها، ويمكن الانتفاع منها مع بقاء عينها؛ لأنّ الوقف تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة. وهنا يكون الاشكال في مسألة وقف الوقت.

نعم يمكن للإنسان أن يلزم نفسه التبرع بوقته بصيغة النذر أو العهد أو الحلف، أما بصيغة الوقف فهذا ما يحتاج إلى بحث واجتهاد جديد. لذلك خصّصت إدارة الوقف الجعفري بالكويت، التي تأسّست بمرسوم أميري عام ٢٠٠٢م ملتقاها السادس لبحثه، ودعوة الفقهاء والمجتهدين لإبداء رأيهم حوله.

ضرورة المؤسّسة الوقفية

وبمناسبة الحديث عن هذا الملتقى العلمي الذي أقامته دائرة الوقف

الجعفري بالكويت، يهمني التذكير بالمشروع الذي سبق أن طرحتُه قبل سنوات، حول أهمية الاستفادة من تجارب قيام المؤسّسات الوقفية في المجتمعات الشيعية المجاورة لنا، كالكويت والبحرين ودبي، حيث أصبحت الأوقاف الشيعية في هذه البلدان تحت إشراف مؤسّسة رسمية تختصّ بها، وتقوم بحماية هذه الثروة الوقفية والحفاظ عليها، وتنميتها وتطوير مواردها، وتوظيف إمكاناتها في خدمة الأغراض الوقفية، ضمن أحكام المذهب الجعفري.

أما في منطقتنا فما تزال أوقافنا تحت ولايات فردية، وقد تعرّض قسم من الأوقاف للضياع والتلاعب، وأكثر المتولّين على الأوقاف لا قدرة لهم على تطويرها وتنمية مواردها، واستفادة المجتمع من عطاء هذه الأوقاف محدودة جدًّا قياسًا إلى الحجم الكبير للثروة الوقفية.

وليست هناك جهة متصدّية لإدارة هذه الأوقاف، والإشراف على تحقيق أغراض الواقفين، فالجهة الرسمية المعنية بالأوقاف هي دائرة الأوقاف والمواريث وهي لا تستطيع بصورتها الحالية القيام بهذا الدور، حيث ترتبط هذه الدائرة بوزارة العدل، وتنشغل بتوثيق ما يرتبط بالأحوال الشخصية من عقود الزواج والطلاق وقضايا الإرث، ولا تمتلك جهازًا إداريًّا لشؤون الأوقاف.

فلا بُدّ من قرار حكومي لتشكيل هيئة لإدارة الأوقاف الشيعية بإشراف ديني شرعي وفق ضوابط المذهب الجعفري، كما هو الحال في دبي والبحرين والكويت.

إشهار عمل الخير

ثمة طرق عديدة وأساليب متنوعة للقيام بأعمال الخير، يجمع بينها المنطلق القيّمي في أداء العمل. فحين تتنوع أساليب العمل ستتعدد بطبيعة الحال طرق أدائه وإنجازه. والسؤال هنا؛ كيف يختار الإنسان طريقة على أخرى، وكيف يفضّل أسلوب عمل على آخر؟

للإجابة عن هذا التساؤل نجد في التوجيهات الإسلامية تركيزًا كبيرًا على أهمية أن يكون المنطلق في اختيار الأسلوب قيميًا وبعيدًا عن النزعة المزاجية.

بين الأداء الفردي والأداء الجماعي

تحثّنا التوجيهات الشرعية على العمل الجمعي، حتى لو حصل الثواب في العمل الفردي، فإنَّ ثواب أداء الخير ضمن عمل جمعي سيكون أكبر وأعظم. وكمثال على ذلك صلاة الجماعة، فبإمكان المرء أن يؤدّي فرائض الصلاة اليومية بمفرده، لكنّ أداء الصلاة في الجماعة يكون فيها الثواب أكبر وأعظم، فقد روى أبو سعيد الخدرّي عن رسول الله ﷺ:

«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة»[١]، وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ «صلاة الرجل في جماعة خير من صلاته في بيته أربعين سنة. قيل: يا رسول الله، صلاة يوم؟ فقال ﷺ صلاة واحدة»[٢]. إذًا بإمكانك أن تؤدي الصلاة جماعة، وبإمكانك أداؤها منفردًا، وبكلا الطريقين تكون قد أديت الفرض الواجب مع فارق الثواب. لذلك فالأفضل أن يختار المرء أسلوب الأداء الجمعي.

الإسراع أو التمهّل في العمل

وجريًا على ما سبق، تعتمد مسألة الإسراع في القيام بعمل الخير، أو التمهّل في أدائه، على الظروف الآنية المحيطة. فقد تستطيع أداء نفس العمل في خمس دقائق، وقد تختار القيام به في عشر دقائق، ومثال ذلك في الصلاة، فبإمكان المرء أن يطيل صلاته بزيادة القراءة والأذكار وسائر المستحبات، وفي ذلك ثواب كبير دون شك، كما بإمكانه أن يؤديها مقتصرًا على الواجبات فقط، فسيكون قد أدّى الواجب بكلا الطريقتين. وإذا كان هناك من ضابطة لتحديد أي الطريقتين أفضل، أي أن يطيل الإنسان في صلاته أو يختصرها، فذلك يختلف باختلاف الأحوال، فلو كان الشخص يصلّي بمفرده فسيكون من الأفضل له أن يطيل، أما إذا كان يصلي إمامًا للجماعة، فيستحب له ألّا يطيل في الصلاة، بل يُكْرَه له ذلك. قال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر «وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص٢٨٩، حديث ١٠٦٨٨. صحيح مسلم، حديث ١٠٨٥.
(٢) الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي. جامع أحاديث الشيعة، ج٦، ص٣٨٦، حديث ٥٣٨١.

فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا وَ لَا مُضَيِّعًا فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ وَ قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»[1]. من هنا فالإطالة في أداء عمل الخير، أو الاختصار فيه، يختلف باختلاف الظروف، شريطة أن يبقى المنطلق في الأداء قيميًا دائمًا.

إعلان أو كتمان عمل الخير

كما تفرض الظروف الآنية نفسها في تحديد أفضلية إعلان عمل الخير أو سرية القيام به. وإنما تتحدد وفقًا للمعيار القيمي لا للنزعة المزاجية. يقول تعالى ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧١]، فالآية الكريمة تتحدث عن أفضلية الإنفاق والتصدق، وما إذا كان ذلك بالخفاء أم بمرأى ومسمع من الناس.

هناك أمران يجب مراعاتهما في هذه المسألة:

الأول: إحراز الإخلاص لله تعالى. بأن ينطلق الإنسان في عمله مخلصًا لله، وفي الرواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ»[2].

الثاني: مراعاة مشاعر الآخرين. فإذا كان في إعلانك العطاء للمحتاجين والفقراء جرحًا لمشاعرهم، فعندها يكون إخفاء

(١) نهج البلاغة. كتاب ٥٣. من كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٣١.

العطاء أفضل، فالإخفاء هنا يساعد الإنسان على الإخلاص في العمل لله، كما أن فيه حماية لمشاعر الآخرين.

لكننا نجد في مقابل ذلك حالات أخرى يكون فيها إظهار العمل نوعًا من التحفيز على عمل الخير وإشاعته في المجتمع، وإشاعة عمل الخير في المجتمع، فالإعلان هنا يخلق حالة من التنافس في عمل الخير، وفي مثل هذه الحالة سيكون الإظهار والإعلان أمرًا إيجابيًا، شريطة إخلاص النية، وألّا يكون الإعلان ورضا الناس بحدّ ذاته هو الهدف.

الشفافية لا تنافي الإخلاص

وهناك مسألة دقيقة تكمن في عدم منافاة الإخلاص لله تعالى بالاستئناس برضى وإعجاب الآخرين. فلا ضير أن يستأنس المرء الفاعل للخيرات قربة لله تعالى برضا وإعجاب الآخرين بعمله، فالإنسان بطبيعته البشرية يأنس برضى وإعجاب الآخرين به، وبما يعمل. وهذا لا ينافي الإخلاص، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧١]، فإبداء الصدقة ليس عيبًا في حد ذاته. وفي رواية عن زرارة قال: «سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيُسرّه ذلك، قال عليه السلام: لا بأس، ما من أحد إلّا وهو يحبّ أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»[1].

تعيش مجتمعاتنا اليوم عصرًا جديدًا ينبغي أن يكون عماده العمل

(١) الكافي، ج٢، ص ٢٩٧، حديث ١٨.

الجمعي المتسم بالشفافية. فالعمل الجمعي الذي يرفع شعار العلنية والشفافية سيكون الناس أكثر قبولًا به وإقبالًا عليه، من هنا تأتي أهمية إعلان المؤسّسات الاجتماعية عن نشاطاتها وإنجازاتها، ذلك لأنّه يأخذ عنوان تشجيع الغير على فعل الخير. لذلك ينبغي لمختلف المؤسسات أن تعلن عن نشاطاتها، فكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الأنشطة الخيرية، وبإعلانها يتشجّعون على المشاركة فيها، فذلك أحد معاني الشفافية وهو أبعد ما يكون عن المفهوم الخاطئ للرياء والغرور وطلب السمعة.

رعاية السجناء

السجن عقوبة قديمة في تاريخ المجتمعات البشرية، تختلف أسبابها ومواردها باختلاف المجتمعات والقوانين السائدة فيها.

وقد أقرّت الشريعة الإسلامية هذه العقوبة لبعض الجرائم والانحرافات، وليس من موارد السَجْن في الإسلام السَجْن من أجل تبنّي رأي فكريّ أو سياسي، إلا إذا كان دافعًا بالفعل لعدوان أو مخالفة للنظام العام.

فبعد واقعة النهروان سمع الأسود بْن يزيد والأسود بْن قيس المراديان وهما من أصحاب الإمام علي عليه السلام شخصًا يقال له أبا العيزار الطائي، وهو يجهر برأي الخوارج، فأخذاهُ فأتيا بِهِ عليًا عليه السلام فقالا: إن هذا يرى رأي الخوارج، وقد قَالَ: كذا وكذا.

فقال الإمام علي عليه السلام: ما أصنع به؟

قالا: تقتله.

قال الإمام: أقتل من لا يخرج عليّ؟

قالا: فتحبسه.

قال: وليست له جناية أحبسه عليها. خليّا سبيل الرجل[١].

حقوق السجناء

وإذا كان السجين قد سُجِن بسبب جناية قام بها، أو خطأ ارتكبه، فإنَّ سَجْنَه لا يجرّده من حقوقه كإنسان. وما دام قد أصبح أسيرًا فأمره بيد الجهة التي سجنته، فتكون مسؤولة عن الاهتمام بشؤونه ومراعاة حقوقه. وقد اهتمَّ الإسلام كثيرًا بأمر السجناء، ويتفق الفقهاء المسلمون سنة وشيعة: أنّ أول شيء ينبغي على القاضي فعله عندما يتبوأ منصبه في مجلس القضاء، أن ينظر في حال السجناء؛ لأن الحبس عذاب، فيخلّصهم منه، ولأنه قد يكون منهم من صدر حكمٌ عليه بالحبس بغير حق.

إنَّ من حق كل سجين أن تَدرس حالته، ويحال للقضاء للبت في حكمه، فكم من سجين يبقى في السجن مدة طويلة لا يدري ما مصيره، وما هو جرمه وعقابه، وهذا بحدّ ذاته عذاب، فالانتظار أشد من القتل.

ومن حق السجين أيضًا أن يُسجن في مكان يناسب كرامته الإنسانية، وقد ورد أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام أوصى خيرًا بسجينه وهو قاتله، الذي قام بأبشع جريمة هي اغتيال رأس السلطة الشرعية فقد ورد أنه عليه السلام قال: «أَطِيبُوا طَعَامَهُ، وَأَلِينُوا فِرَاشَهُ»[٢].

(١) أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي). تاريخ بغداد، ج١٤ ص٣٦٩.
(٢) محمد بن سعد بن منيع البصري (ابن سعد). الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٧.

وورد عن الإمام محمد الباقر ﷺ أنَّه قال: «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ [بعد إصابته]: «اِحْبِسُوا هَذَا الْأَسِيرَ [عبدالرحمن بن ملجم] وَأَطْعِمُوهُ وَاِسْقُوهُ وَأَحْسِنُوا إِسَارَهُ»[١].

وفي رواية أخرى لما أوتي بابن ملجم أسيرًا عنده، قال: «إنَّه أسيرٌ فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه»[٢].

وورد أيضًا أنه ﷺ قال للحسن ﷺ: «بِحَقِّي عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ إِلاَّ مَا طَيَّبْتُمْ مَطْعَمَهُ، وَمَشْرَبَهُ، وَاُرْفُقُوا بِهِ»[٣] بل كان يرفع من طعامه وشرابه ويقول: «اِحْمِلُوهُ إِلَى أَسِيرِكُمْ»[٤].

هذه ليست مجرّد منقبة لعلي ﷺ، بل إنَّ في ذلك توجيهًا للأمة، وكان أمير المؤمنين كما يروي الإمام الباقر ﷺ يُخرج من كان في الحبس في دَيْن أو تهمة إلى الجمعة فيشهدونها، ويضمنهم الأولياء حتى يردوهم.

وهناك ثلاثة أبعاد ينبغي مراعاتها مع السجين:

الأول، وضعه في السجن: بأن يعامل معاملة كريمة تليق به كإنسان، وأن يُراعى وضعه الصحي والنفسي، وأن يتمتع بكامل حقوقه حتى بالنسبة للأمور الترفيهية.

الثاني، وضعه العائلي: فإذا كان هو قد أجرم فما ذنب عائلته؟ ينبغي

(١) عبدالله بن جعفر الحميري. قرب الإسناد، ج١، ص١٤٣.
(٢) الطبقات الكبرى. ج ٣، ص ٣٥ .
(٣) بحار الأنوار. ج٤٢، ص٢٨٩ .
(٤) المصدر السابق.

أن تكون هناك مراعاةٌ وتفقّدٌ لأحوال عائلة السجين، لا سيما إذا كان السجين ربَّ الأسرة أو المعيل لها، فإنّ حالها يسوء بدونه. فلا ينبغي أن نصيّره وبالًا على أسرة كاملة ليس لها ذنب، ونتركها في مهب الأخطار والجرائم.

الثالث، تأهيل السجين لما بعد السجن: في كثير من الأحيان عندما يُطلق سراح السجين ويخرج لمجتمعه، فإنَّ نظراتٍ شزراء تلاحقه، وتُشعره بأنَّه عار على المجتمع، ولا محل له فيه. وهذه نظرة غير صحيحة، لأنَّ كل إنسان معرض للخطأ، ومعاملته بهذه القسوة والجفاء يزيد من شقائه، بل يرجعه إلى طريق الفساد إذا كان قد فكّر في التوبة. من هنا ينبغي أن نفكّر كيف نعيد تأهيل السجين للاندماج مجددًا في المجتمع، وأن نساعده على إصلاح نفسه وسلوكه، ففي ذلك مصلحة له وللمجتمع.

الجمعية الوطنية لرعاية السجناء

في عام ١٤٢٢هـ تأسست في المملكة العربية السعودية (الجمعية الوطنية لرعاية السجناء) وأُطلق عليها اسم (تراحم)، ولها ١٥ فرعًا في مختلف مناطق المملكة، وهي لجنة خيرية ذات شخصية اعتبارية مستقلة مقرها الرياض، ومصرّحة رسميًا يرأس مجلسها وزير الشؤون الاجتماعية، وتموّل من الدولة ورجال الأعمال ومن الصدقات والزكوات. مهمتها الاهتمام بشؤون السجناء، وتفقّد أوضاعهم داخل السجن، والنظر في قضاياهم، فكم من قضية سهلة كقضايا الديون يسجن صاحبها لمدة طويلة، وهي لا تحتاج أكثر من التفاتة من أهل الخير. وكذلك من مهامها رعاية أوضاع عوائل السجناء، والتفكير في تأهيل السجين وإصلاح

سلوكه، وإعادته للمجتمع عنصرًا صالحًا.

ونحن بحاجة ماسّة إلى فرع لهذه الجمعية في منطقتنا، وإلى أن يكون عندنا اهتمام أهلي بموضوع السجناء. فالسجناء جزء من المجتمع ولا ينبغي أن نتخلّى عنهم، علينا أن نهتم بأمورهم، وأن نتواصل معهم، لا سيما في المناسبات العامة كالأعياد. وفي ذلك يتحقق أمن المجتمع وسلامة أفراده.

ذكرى تأسيس منظمة العفو الدولية

في ٢٨ مايو ٢٠١١م أحيت منظمة العفو الدولية «أمنستي» مرور خمسين عامًا على تأسيسها، وإنّنا إذ نتحدّث عنها لا لنمجّد كلَّ أدوراها، ولكن لنقول نحن كمسلمين أولى بمثل هذه المبادرات. فهذه المنظّمة بحكم انطلاقها من بيئة غربية فهي تنتمي إلى قيم وثقافة تلك البيئة، وقد تتأثر بعض مواقفها بالمصالح السياسية، ولكن هذا لا يعني أن نتجاهل جوهر الفكرة في حركة هذه المنظمة.

هذه المنظمة تأسّست على يد محامٍ بريطاني اسمه (بيتر بيننسون) عام ١٩٦١م، حيث سمع عن سَجْنِ طالبينِ شابين من البرتغال، حُكم عليهما بالسجن سبع سنين لمجرد تبنيهما رأيًا سياسيًا. تألم لوضعهما، وفكّر أن يضغط على السلطة البرتغالية لإطلاق سراحهما، فأخذ يمطرها بوابل من الرسائل المطالبة بالإفراج عنهما، وأقنع آخرين بفكرته، وكوّن لجنة من أجل الاهتمام بالسجناء والإفراج عنهم، ثم تحوّلت الفكرة إلى مؤسسة دولية عالمية. وهي تضم الآن أكثر من ثلاثة ملايين نصيرٍ وعضوٍ وناشطٍ،

في أكثر من ١٥٠ بلدًا من أنحاء العالم. مهمتها الدفاع عن سجناء الرأي بغض النظر عن انتماءاتهم ومناطقهم، وأديانهم، وما أحوجنا كمسلمين إلى هذا التفكير الإنساني، فإن الأمور الإنسانية أصبحت مؤطرة لدينا بأطرٍ ضيقة دينية ومذهبية وعرقية وقبلية.

الشيعي قد يهتم بسجناء الشيعة ولا يهتم بسجناء أهل السُّنة، والسني قد يهتم بالسجناء السُّنة ولا يعير اهتمامًا للسجناء الشيعة! بلغني أنه قام بعض المتبرّعين في شهر رمضان بتقديم وجبات إفطار صائم للسجناء في أحد سجون المنطقة، لكنهم اشترطوا على إدارة السجن أن تخصّص الوجبات للصائمين من أهل مذهبهم فقط.

هذا تفكير ضيّق، وعلينا أن نحارب هذه الأفكار، وأن نستفيد من الجمعيات الموجودة للاهتمام بالسجناء. وأرجو أن يوفق الله الطيبين ليسعوا لتأسيس هذه اللجنة لرعاية السجناء والاهتمام بهم في المنطقة.

هذه ثغرة في العمل التطوعي الخيري في المجتمع لا تزال شاغرة، ونأمل أن يسدّها المبادرون من أهل الخير.

الشراكة المجتمعية مع المؤسسات الصحية

لعلوم الدين قداسة ومكانة في نفوس المتدينين، وعلماء الدين يحظون بنفوذ وتقدير في المجتمع الديني، وهو أمر طبيعي، حيث أوجب الله تعالى وجود فئة في كل مجتمع، تتوجه للتفقه في الدين، ثم تقوم بتبليغه في محيطها الاجتماعي، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٢].

فطلب العلوم الدينية واجب كفائي، لا يسقط عن الجميع، إلا إذا قام به من يملأ الفراغ ويسد الحاجة.

ويشير الفقهاء إلى أنَّ هذا الأمر لا يختص بطلب العلوم الدينية، فكل علم يحتاجه المجتمع المسلم، فإن طلبه يكون واجبًا كفائيًا، وفِي طليعة ذلك علوم الطب.

فكما أنّ طلب العلوم الدينية واجب كفائي، فإنّ علوم الطب كذلك، لا يُسقط هذا الواجب إلا إذا قام به من يُكتفى بهم من أبناء المجتمع.

والنص الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الْأَدْيَانِ، وَعِلْمُ الْأَبْدَانِ)[١] يضع علمي الدين والطب على المستوى والدرجة نفسها.

قال الذهبي في الطّبّ النبوي: كان الشافعي يقول: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب.

وقال الغزالي: أما فرض الكفاية، فهو علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان[٢].

وقال الشهيد الصدر: إن الشرع حكم بوجوب تعلم الطب كفاية على المسلمين، وهذا الوجوب حكم ثابت[٣].

ونصَّ السيد اليزدي في (العروة الوثقى) أن الطبابة من الواجبات الكفائية[٤].

وهذا يُحتِّم على المجتمع إعطاء الأولوية لدفع أبنائه لتعلم الطب والإقبال على دراسته وإنتاج البحوث العلمية الطبية، لأن البحوث والدراسات هي التي تطوّر علم الطب، وتقدّم الحلول للمشكلات الصحية التي يعاني منها الإنسان.

(١) بحار الأنوار ج١، ص٢٢٠، ونسب في بعض المصادر للإمام علي عليه السلام.
(٢) أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. إحياء علوم الدين، ج١، ص١٦.
(٣) السيد محمد باقر الصدر. اقتصادنا، ج١، ص٧٩٤.
(٤) العروة الوثقى، خاتمة كتاب الإجارة.

الحاجة للأطباء في السعودية

لدينا نقص كبير في عدد الأطباء، فقد كشفت وزارة الصحة في أحدث إحصائياتها عن وجود عجز كبير في عدد الأطباء السعوديين العاملين في مستشفيات المملكة.

وذكرت إحصائية الوزارة أنَّ إجمالي عدد الأطباء في المملكة العربية السعودية (بلغ ١٠٤٧٧٥ طبيبًا، وبلغ عدد الأطباء السعوديين ٣٤٣٩٠ طبيبًا وبنسبة ٣٣٪.)[١] !!

وفي مقابل ذلك هناك شكوى من خريجي الكليات الطبية الذين لم يحصلوا على فرص العلم، حيث طال انتظارهم للتعيين والحصول على الوظيفة!

الشراكة المجتمعية والمؤسسات الصحية

تتوفّر لوزارة الصحة في بلادنا ميزانية مميزة، فقد خصص لها من الموازنة العامة للمملكة ضمن الأرقام التي أعلنت لميزانية ٢٠٢٠م (١٦٧ مليار ريال)[٢]، وتوجد في بلادنا مستشفيات ومؤسسات ومراكز صحية في مختلف المدن، فالدولة هي المسؤولة بالدرجة الأساس عن توفير الرعاية الصحية للمواطنين.

وبالنظر إلى أهمية صحة الإنسان وضروراتها الملحة، والحالات

(١) صحيفة الوطن، السبت، ١١ أبريل ٢٠٢٠م، https://wtn.sa/a/1042788 .

(٢) موقع وزارة المالية: https://www.mof.gov.sa/financialreport/budget2020/Documents/Citizen_Ver.pdf

التي قد تمر بها المستشفيات، فإن ذلك يوجب الاهتمام بالشراكة المجتمعية مع المؤسسات الصحية الرسمية، حيث المجتمع شريك في تحمل المسؤولية، وعلى المهتمين بالشأن الاجتماعي أن يُفَعِّلوا الشراكة مع هذه المؤسسات الصحية، ولابد من تواصل العلماء ورجال الأعمال والناشطين الاجتماعيين مع المؤسسات الصحية في مناطقهم، ومن خلال التواصل وإبداء الاهتمام يتمكنون من تفقد مستوى أداء هذه المؤسسات الصحية، ومراقبة عملها، والتعاون لسد النقص والاحتياجات، فكلما قامت بدورها بشكل أفضل كان ذلك في مصلحة صحة الناس، وتقدم المجتمع بشكل عام.

مبادرات تستحق الثناء

١. مركز سعود البابطين لطب وجراحة القلب

- أنشأ الشيخ عبد الوهاب بن سعود البابطين هذا المركز في مستشفى الدمام المركزي، على أفضل تقنيات البناء الحديث، وبجودة عالية، وقد افتتح سنة ١٤٢٢هـ.
- يتكوّن من سبعة أدوار، وتبلغ المساحة الإنشائية سبعة آلاف متر، بسعة ثمانية وستين سريراً، ومن يراجع أو يزور المركز يدرك حجم الخدمات التي يقدمها هذا المركز لخدمة المواطنين.

٢. مركز غسيل الكلى في مستشفى الدمام المركزي

- أنشأ هذا المركز رجل الأعمال أحمد علي كانو، في حرم مستشفى الدمام المركزي وتم افتتاحه عام ٢٠٠١ بسعة ٦٨ جهازاً لغسيل

الكلى ويتسع لـ ٣٠٠ مريض، على أرضٍ مساحتها (٧٠٠) مترٍ مربعٍ.

- يتكوّن المركز من أربعة أدوارٍ، تُشَكِّل في مجملها مساحةً تبلغ (٢٩٥٠) متراً مربعاً ، ويعمل على نظام ثلاث فترات يوميا من الساعة السابعة صباحا حتى الحادية عشرة مساءً.
- تم إنشاء المركز وتجهيزه بأحدث الأجهزة الطبية بتبرعٍ سخيٍّ من عائلة يوسف بن أحمد كانو.
- وبلغت التكلفة الإجمالية للأعمال الإنشائية والتجهيزية والتأثيث الطبي وغير الطبي (٢٠) مليون ريال تقريباً.

٣. **مركز غسيل الكلى في مستشفى القطيف المركزي**

- أنشأ هذا المركز الحاج عبد الله السيهاتي، في الطابق الأرضي، والطابق الثاني يُخطط ليكون مركزاً لجراحات اليوم الواحد، وليحوي عدة عيادات.
- كلفة هذا المشروع خمسة عشر مليون ريال.
- مثل هذه المبادرات أمر مطلوب وهذا ما نراه في مختلف مناطق الوطن، والبلدان المختلفة من العالم.
- هذه الشراكة المجتمعية ضرورية لخدمة الناس وفيها الأجر والثواب، كما في بناء المساجد والحسينيات، وحينما تكون هناك حاجة ملحّة قد يكون الثواب أكبر من المسجد أو الحسينية.

بعض المؤمنين يوصون بالثلث من التركة للإنشاءات الدينية وهو أمر طيّب، لكنّ عليهم أن يتلمّسوا حاجات مجتمعهم في سائر الجوانب، ففي ذلك أجر وثواب كبير من الله تعالى لا يقل عن أجر إنشاء المؤسسات الدينية.

مستشفى القطيف المركزي

يستحق مستشفى القطيف المركزي الاهتمام والدعم من قبل أبناء المجتمع، فهو يغطي حاجات مساحة جغرافية ذات كثافة سكانية واسعة، فحسب الإحصاءات يراجع طوارئ المستشفى شهريًا عشرون ألف مراجع، والعيادات الخارجية خمسة وثلاثون ألف مراجع، وقد أجريت فيه خلال العام ٢٠١٨م (٤٠٠٧) عملية جراحية، أي بمعدل ٣٣٥ حالة كل شهر، ويبلغ عدد العاملين في المستشفى ما يقارب ٢٠٠٠ موظف منهم حوالي ٥٠٠ طبيب بين استشاري وأخصائي.

هناك من يبحث عن بعض الثغرات والنواقص والسلبيات في أداء المستشفى ليتناقلها!

إنه لا يخلو عمل من سلبيات، ولا تخلو مؤسسة من نقص، ولكن لا يصح تجاهل الإيجابيات، كما لا يصح أن نتكلم عن هذه المؤسسات دون أن نقترب منها ونتعاون معها ونساعدها في تخطي احتياجاتها وسد ثغراتها.

حيث يضم هذا المستشفى كفاءات، يُشهد لها بالخبرة والمهارة والإخلاص، وعلينا أن نشكر الإيجابيات و نقدّرها، ومن الأمثلة

والنماذج ما نقلته وسائل الإعلام[١] مؤخرًا من أنه: تلقى استشاري جراحة العيون في مستشفى القطيف المركزي الدكتور زهير الجشي نداء عاجلاً لإنقاذ نظر طفل خديج في مستشفى الولادة والأطفال بنجران، عمره ثلاثة أشهر، بسبب ولادته باعتلال في الشبكية من الدرجة الثالثة، وتأكد للدكتور الجشي أنّ جميع مستشفيات المملكة اعتذرت عن علاج الطفل، لعدم وجود الخدمة أو توفر السرير، فعزم على السفر إلى أبها، ومنها إلى نجران خلال يومين، وقد واجه عدة صعوبات لمتطلبات إجراء العملية، أولها عدم توفر الجهاز المطلوب، مما دعاه لاستعارة الجهاز من مستشفى الولادة والأطفال بالدمام على مسؤوليته الشخصية، وأجرى العملية التي تكللت بالنجاح.

وبعد أقل من شهر استقبل نداءً آخر من المستشفى نفسه، لإنقاذ حالة طفل خديج عمره شهران، ويتنفس اصطناعياً، ولديه اعتلال بالشبكية من الدرجة الرابعة، فلم يتأخر عن السفر لإجراء العملية.

إننا في الوقت الذي نفتخر فيه بهذه الكفاءات، ندعو أبناء المجتمع إلى تفعيل الشراكة مع هذا المستشفى وسائر المؤسسات الصحية، ففي ذلك الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، والمنفعة والفخر لأبناء المجتمع.

---

(١) القطيف اليوم، http://alqhat.com/beta/archives/128624